الإمام الدكتور عبد الحليم محمود

إمام التابعين

سعيد بن المسيّب



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيـل - القـاهـرة - ج . م . ع .

لـــو رأى رسول الله ﷺ
هذا (يعنى سعيد بن المسيب)
لسره

عبد الله بن عمر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله حمدًا يوافى نعمه ، ويكافىء مزيده ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المؤمنين ، وخاتم المرسلين ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين ، صلاة وسلامًا دائمين إلى يوم الدين . وبعد :

فإن فى تاريخنا الإسلامى كثيرًا من العلماء الذين كانوا مثلاً عليا فى الخلق ، كما كانوا أعلامًا يهتدى بهم فى العلم .

لقد أخلصوا قلوبهم لله تعالى ، وأسلموا له وجوههم ، فصاروا مثلاً للعلم والخلق ، وصاروا نماذج إنسانية كريمة حققت ما أحبه الله تعالى ورسوله ﷺ للبشر من هداية ترتفع بهم إلى القرب من الله تعالى .

ولقد روى التاريخ عن هؤلاء روايات تعبر عن بطولات علمية ، أو بطولات حربية ، أو بطولات سامية فى الخلق والشجاعة ، أو بطولات تجمع بين كل ذلك .

وفى الجيل الذى رباه الرسول ﷺ القمم العليا لهذه البطولات ، وإن فى الأجيال التى تلت ذلك – من التابعين ، وتابعى التابعين – مثلاً عليا يمتلئ بها التاريخ الإسلامى على مر الزمن ، كما كان الأمر مثلاً فيما يتعلق بالإمام الربانى الزاهد : « عبد الله بن المبارك » ،

أو فيما يتعلق بالعارف بالله : « شقيق البلخى » أو تلميذه : « حاتم الأصم » وعشرات ومئات وآلاف غيرهم .

ولقد أدّب الله تعالى رسوله فأحسن تأديبه : « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » .

ربَّاه بالقرآن ، وربَّاه بالوحى ، فى جميع ألوانه ، ثم قال له : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] .

وربّى رسول الله ﷺ جيلاً من البشر ، كله بذل وتضحية ، كله إخلاص لله فى اليسير من الأمور والعظيم منها ، وكانوا قدوة حسنة للأجيال من بعدهم .

ولقد كتب كثير من الناس كتبًا تصور هذه الجوانب : بعضها يدور حول شخص واحد ، وبعضها يروى قصصًا مختلفة عن كثيرين كلها بطولات نادرة فى شتى نواحى البطولات ، من هذه الكتب ، كتاب : « مواقف حاسمة للعلماء فى الإسلام » ألفه الأستاذان : « على شحاته » و « أحمد رجب عبد المجيد » ، قرأت هذا الكتاب النفيس أكثر من مرة ، وكان فيما قرأت قصتين عن الإمام « سعيد ابن المسيِّب » كانتا من الدوافع التى جعلتنى أفكر فى الكتابة عنه .

أمـا القصة الأولى : فإنها تتصل بالخلافة ، وسنتحدث عنها بتفصيل فى فصل خاص ، وفى مقدمة القصة فى كتاب « مواقف حاسمة » كتب المؤلفان ما يلى : كان عبد الملك بن مروان

(١) القلم : ٤ .

« ٦٥ – ٧٦ هـ » يرى نفسه من أفقه الفقهاء فى عصره ، ولكنه كان يريد من العلماء ومن الناس أن يكتفوا منه بالاستقامة على الشرع فى كل شىء ، بشرط أن يتسامحوا معه ، فيما يتصل بالشئون السياسية وما يتخذه من الوسائل لاستبقاء الملك ، وتسييره فى أسرته وبنيه ؛ فى حين كان علماء الإسلام يرون أن الإسلام كلٌّ لا يتجزأ ، وأن التهاون فى ناحية معينة ستجر إلى التهاون فى نواحٍ أخرى ، حتى يتسع الخرق على الراقع .

ومن هؤلاء العلماء : « سعيد بن المسيب » أحد الفقهاء السبعة فى عصر التابعين ، ومن أشراف « بنى مخزوم » ا هـ .

لقد كان سعيد بن المسيب يرى – كما يرى كل مسلم صادق فى إسلامه – أن الإسلام « كلٌّ لا يتجزأ » إذ أن دعوة الإسلام عنده كما هى عند كل المصلحين دعوة كاملة تامة ! .

إنها دعوة تتضمن التشريع والعقيدة والأخلاق كما يقول سبحانه : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وعَدْلاً﴾[1] .

تمت صدقًا فى العقيدة ، وتمت عدلاً فى التشريع ؛ فمن انحرف بالدعوة أو عن الدعوة فإنما ينحرف عن الصدق وعن العدل ، وقد كانت دعوة « سعيد بن المسيب » رضى الله عنه كاملة غير منقوصة ! .

أما القصة الثانية : فإنها تتصل بزواج ابنته ، لقد خطبها

(١) الأنعام : ١١٥ .

« عبد الملك بن مروان » لابنه ، فرفض « سعيد » وآثر رجلاً صالحًا فقيرًا – وقدّمه على وليّ العهد ، وقد كان الأساس الوحيد عند « سعيد » فى هذا الأمر – وفى جميع معاملاته مع الناس : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[1] ، وسيأتى إن شاء الله تفصيل القصة .

إن هاتين القصتين ترشدان إلى أن الإمام « سعيد بن المسيب » ما كان يسير فى حياته على الوضع الذى يسير عليه جمهور الناس ؛ وإنما كان يقصد – بكل ما يأتى وما يذر – وجه الله تعالى . !

لقد كان يفضّل الموت فى سبيل الله والحق على إرضاء السلطان مهما كانت وسائل إغرائه ، وهو ما صورته القصة الأولى .

ولقد ازدرى ما استعبدت الدنيا به الناس من المال والسلطان ، وإن كثيرًا من الناس يحاول بشتى الطرق أن يصل إلى المال ، وإلى السلطان والجاه بحيث يصبح عبدًا لذلك ! .

وفى سبيل المال ، وفى سبيل السلطان يتطاحن أهل الدنيا ، ويضحون بالمثل والمبادئ والأخلاق ، فتسيل الدماء ، ويتعادى الإخوة والأصدقاء .

ولكن « سعيد بن المسيب » أنف أن ينزل إلى هذا المستوى ، وخلصت نفسه من العبودية للمال والسلطان ، وآثر الله تعالى عن كل ما عداه ! .

ومن أجل إيثار الله تعالى عن كل ما عداه : هذا الإيثار الذى

(١) الحجرات : ١٣ .

كان طابعًا له وشعارًا أحببنا أن نقدمه لشبابنا : مثلا يحتذى ؛ فى النبل والفضل ، وأن نقدمه للإنسانية : أسوة فاضلة للهداية والاقتداء وأن نقدمه للعلماء ، نموذجًا للاستمساك بما يراه حقًّا ، لا يبالى بالموت فى سبيله ، وأن نقدمه منارة للسالكين سبيل الحياة الإيمانية ومشعلاً يضىء للباحثين عن طريق الهداية .

لقد صح العزم على أن أكتب عن « سعيد بن المسيب » ...

وأخذت أجمع المراجع ، من هنا ، ومن هناك ، وأدون الملاحظات من هنا ومن هناك ، وأبحث ، وأتفحص ، وأختبر ، وأخطط وأكتب . ولما أوشكت على الفراغ من كل هذا إذا بأمر ما كنت أتوقعه . وذلك أننى سافرت إلى « يوغوسلافيا » لحضور حفل تنصيب شيخ علمائها ، وهناك التقيت « بالأستاذ نافع قاسم » رئيس ديوان الأوقاف بالعراق ، وبينما نحن نتحدث عن مطبوعات مديرية الأوقاف هناك ؛ إذ به يقول : ... طبعنا جزأين من (فقه سعيد بن المسيب) ...

لم أكن قد سمعت بهذا الكتاب من قبل ، فأخذت أسأل ، وأستفسر ... وأخذت وعدًا من الصديق الفاضل ، أن يرسل لى نسخة فور وصوله إلى العراق .

وبرَّ الصديق بوعده ، وأخذت أتصفح الكتاب ، وعلمت من قراءتى أن الكتاب أساسه رسالة دكتوراه ، نوقشت بجامعة الأزهر .

والكتاب مجهود موفق ، ودراسة متأنية ، عميقة ، لفقه الإمام « سعيد » مع مقارنة لفقه الأئمة الآخرين ، وواضح أن المؤلف الفاضل

« الدكتور هاشم جميل عبد الله » قد بذل كل ما يستطيع ، حتى تكون الدراسة مستوفاة .

وقد أفادني هذا الكتاب النفيس ثقة في اتجاهي في البحث ، وفي طريقتي في الدراسة .

ولم يكن هدفي الأساسي من – الكتابة عن الإمام – الجانب الفقهي منه ، وإنما كان هدفي أن أبرز هذه الشخصية باعتبارها من القمم : في الخلق الكريم ، والعلم النافع ، والتوكل على الله تعالى ، توكلاً صادقًا : توكل المقربين ، توكل الربانيين ، من أولياء الله الصالحين .

وأرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت ، وأرجوه سبحانه أن يهدي لهذا الكتاب ، ويهدي به .

كما أرجوه سبحانه أن يحيط الإمام بفيض من رحمته ورضوانه ، وأن يجزي كل من كان على سنته – سنة رسول الله ﷺ – خير ما يجزي به العاملين في سبيله ! إنه سميع قريب مجيب .

الفصل الأول
حياته

(١) حياته :

إن عبد الله بن عمر رضى الله عنه كان يقول عن سعيد بن المسيب :

« لو رأى رسول الله ﷺ هذا لسره » ، مشيرًا إلى سعيد .

وكان عبد الله بن عمر رضى الله عنه يحب سعيدًا ويقدره ، وبلغ من تقديره له أنه كان يسأله عن قضاء عمر بن الخطاب – والده – وأحكامه رضى الله عنهم أجمعين ، بل يقول « يحيى بن سعيد » كما يروى « ابن سعد » فى طبقاته :

كان « عبد الله بن عمر » إذا سئل عن الشيء يشكل عليه قال : « سلوا سعيد بن المسيب فإنه قد جالس الصالحين » . ويروى المؤرخون لسعيد أن ابن عمر رضى الله عنه سأله رجل عن مسألة ، فقال له : إيت ذلك فسله – يعنى « سعيد بن المسيب » – ثم ارجع إلىّ وأخبرنى .

ففعل ذلك ، فأخبره ، فقال :

ألم أخبرك بأنه أحد العلماء ؟

وهذا التقدير من « ابن عمر » رضى الله عنه يتناسق مع تقدير المؤرخين « لابن المسيب » ، وسنذكر من ذلك الكثير بإذن الله .

ولقد ولد « سعيد » فى المدينة المنورة ، ولد لسنتين مضتا من خلافة « سيدنا عمر بن الخطاب » ، وفى نهاية خلافة « سيدنا عمر » كان سنه ثمانى سنوات تقريبًا ، ومن ذكرياته عن « سيدنا عمر » وهو فى هذه السن المبكرة قال :

سمعت من « عمر » كلمة ما بقى أحد حى سمعها غيرى — كان عمر إذا رأى الكعبة قال : « اللّهم أنت السلام ومنك السلام » .

ويتحدث مرة أخرى — فيما رواه « ابن سعد » بسنده عن « بكير بن أخنس » — فيقول : سمعت عمر على المنبر وهو يقول :

« لا أجد أحدًا جامع فلم يغتسل ، أنزل أو لم ينزل ، إلا عاقبته » ، لقد سمع « سعيد » من « عمر » فى بواكير حياته ، وحفظ عنه ، وليس ذلك بغريب ، فقد كان سعيد صاحب ذاكرة قوية ، هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان « عمر » مهيبًا يسترعى الانتباه الشديد ، وكان ذا صوت جهورى ، يقرع الأسماع ويملؤها .

أما والده فإنه « المسيب » وهو صحابى جليل مشهور ، من المهاجرين ، ومن أهل بيعة الرضوان الذين قال الله فيهم :

﴿لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحًا قريبًا﴾[1] .

---

(١) الفتح : ١٨ .

وقد اختلف المؤرخون فى فتح الياء وكسرها فى « المسيب » ، وحينما نقرأ فى كتاب يضع الشكل على الحروف فإننا نجده أحيانًا يضع على الياء فتحة ، وأحيانا كسرة ، وأحيانا يضع فتحة وكسرة فى آن واحد .

ويقول « على بن المدينى » : أهل العراق يفتحون الياء ، وأما أهل المدينة فإنهم يكسرونها ، أما سعيد نفسه ، فإنه كان يفتح الياء ولكنه لم يرو عنه كسرها .

وقد روى « سعيد » عن أبيه بعض الأحاديث ، وكان مما رواه الشيخان بسندهما عنه قال :

حدثنى أبى ، أنه كان فيمن بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة قال : فلما خرجنا فى العام المقبل نسيناها ، فخفى علينا مكانها .

و « نسيناها » هذا كان بتقدير من العليم الخبير حتى لا تُقدَّس ،

وطال عمر المسيب حتى حضر فتوح الشام .

أما مهنته التى كان يتكسب منها فإنها — كما هى عادة الغالبية الساحقة من القرشيين — التجارة .

ماذا ترك « المسيب » لابنه سعيد من مال ؟

ذلك ما لا نعلمه .

متى مات « المسيب » بالضبط ؟ . ذلك ما لا نعلمه أيضًا .

وَجدّ « سعيد » هو حَزن ، وقد أسلم والده قبل جده ، وذلك

أن جده أسلم عام الفتح ، ولكن إسلامه وإن جاء متأخرًا فإنه أبلى بلاء حسنا فى الجهاد ، وحضرموقعة اليمامة واستشهد فيها .

وكان استشهاده – إذن – فى خلافة أبى بكر سنة اثنتى عشرة من الهجرة ، وهذه الأسرة من « مخزوم » ، وقد كان من « مخزوم » « سيدناً خالد بن الوليد » ، ومخزوم مشهورة بالشجاعة ، ولا غرابة فى أن يكون والد « سعيد » وجده قد ساهما فى الجهاد ، وأن يكون جده قد استشهد فيه ، أما سعيد فإنه خرج كأسلافه للغزو حتى فى أخريات عمره .

روى عن الزهرى قال :

خرج « سعيد بن المسيب » إلى الغزو وقد ذهبت إحدى عينيه فقيل له : إنك عليل ، صاحب ضُر ، يشيرون إلى قوله تعالى : ﴿ليس على الأعمى حرج ، ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج﴾[1] .

فقال سعيد :

استنفر الله تعالى : الخفيف والثقيل . يشير إلى قوله تعالى : ﴿ انفروا خفافًا وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾[2][3] .

---

(١) الفتح : ١٧ .

(٢) التوبة : ٤١ .

(٣) يقول الله تعالى : ﴿انفروا خفافًا وثقالاً ، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ، ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ . =

= وعن (مسلم بن صبيح) قال : أول ما نزل من براءة ﴿ انفروا خفافًا وثقالاً ﴾ ...
لقد فهم أسلافنا رضوان الله عليهم هذه الآية على وضعها كما أحب الله ورسوله وكما يدل عليه التعبير القرآني الكريم .

يروى صاحب محاسن التأويل : أنه لما كانت البعوث إلى الشام قرأ (أبو طلحة) رضى الله عنه سورة براءة : حتى أتى على هذه الآية ، فقال :

(أرى ربنا استنفرنا شيوخًا وشبابًا ، جهزونى يا بنى) .

فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ..

فقال : ما سمع الله عذر أحد ، ثم خرج إلى الشام للجهاد ا هـ .

أما فارس رسول الله ﷺ الصحابى الجليل (المقداد بن الأسود) فان مواقفه فى الجهاد فى سبيل الله معروفة مشهورة ، ومن مواقفه الخالدة أنه كان من أروع المتحدثين يوم أن استشار الرسول ﷺ المهاجرين والأنصار فى أمر الحرب ، لقد قال يومئذ :

(يا رسول الله ، امض لما أراك الله فنحن معك . والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى : اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ، ولكن : (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون) فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد – موضع بأقصى اليمن – لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه .

إن فارس رسول الله ﷺ هذا ، رآه رجل بحمص وقد كبر فى السن ونالت منه الشيخوخة ، ومع ذلك فقد كان متجهزًا للغزو ، فقال له : قد أعذر الله إليك ..

فقال : أبت علينا « سورة البعوث » (التوبة) : « انفروا خفافًا وثقالاً » .

والمسلمون يعرفون (أبا أيوب الأنصارى) ويعرفون فضله وإخلاصـــه لله ولرســوله ﷺ إنه كان يقرأ هذه الآية الكريمة ثم يقول : (فلا أجدنى إلا خفيفًا أو ثقيلاً) .

ويروى – (الإمام الطبرى) – بسنده عن (حبان بن زيد) قال : نفرنا مع (صفوان بن عمرو) – وكان واليا على حمص–فلقيت شيخًا كبيرًا هرمًا–أى بلغ من الكبر عتيًا – قد سقط حاجباه على عينيه ، من أهل دمشق ، على راحلته فيمن أغار ، فأقبلت عليه فقلت :

يا عم ، لقد أعذر الله إليك .. فرفع حاجبيه فقال : يا ابن أخى ، استنفرنا الله خفافًا وثقالاً ، من يحبه الله يبتليه ، ثم يعيده فيبتليه ، إنما يبتلى الله من عباده من شكر ، وصبر ، وذكر ، ولم يعبد إلا الله .

ومن الحق أن نقول : إن كلمة الله تعالى : ﴿ خفافًا وثقالاً ﴾ . =

= كلمة جامعة .. فهى تعنى : شبابًا وشيوخًا ، أغنياء وفقراء ، مشاغيل ، وغير مشاغيل ، نشاطًا وغير نشاط ، ركبانًا ومشاة ..

إنها تعنى : انفروا على كل حال أنتم عليه من يسر أو عسر ، ومن غنى أو فقر ، ومن عيال أو عدم عيال ، ومن سمن أو هزال .

أما سبب نزول هذه الآية الكريمة الجامعة فإن أناسًا قالوا :

إن فينا الثقيل ، وذا الحاجة ، والصنعة ، والشغل ، والمنتشر به أمره ، فأنزل الله تعالى : ﴿انفروا خفافًا وثقالاً﴾ .

وأبى أن يعذرهم -- دون أن ينفروا خفافًا وثقالاً – على ما كان منهم ..

ويقول الإمام (الطبرى) :

(إن الله تعالى ذكر أمر المؤمنين بالنفير لجهاد أعدائه فى سبيله خفافًا وثقالاً ، وقد يدخل فى (الخفاف) كل من كان سهلاً عليه النفر لقوة بدنه على ذلك ، وصحة جسمه وشبابه ، ومن كان ذا يسر بمال وفراغ من الاشتغال ، واقتدار على الظهر والركاب ، ويدخل فى (الثقال) كل من كان بخلاف ذلك ، من ضعيف الجسم وعليله وسقيمه ، ومن معسر من المال ، ومشتغل بضيعة ومعاش ومن كان لا ظهر له ولا ركاب ، والشيخ ذو السن والعيال .

فإذا كان قد يدخل فى (الخفاف) و (الثقال) من وصفنا من أهل الصفات التى ذكرنا ، ولم يكن الله جل ثناؤه خص من ذلك صنفًا دون صنف فى الكتاب ولا على لسان الرسول ﷺ ، ولا نصب على خصوصه دليلاً ، وجب أن يقال : إن الله جل ثناؤه أمر المؤمنين من أصحاب رسوله بالنفر للجهاد فى سبيله خفافًا وثقالاً ، مع رسوله ﷺ ، على كل حال من أحوال الخفة والثقل ، ا هـ .

وإذا كان الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج﴾ (التوبة : ٩١) .

فانه سبحانه قيد ذلك بقوله : ﴿إذا نصحوا لله ورسوله﴾ .

ونصحهم لله ورسوله شرط فى رفع الحرج عنهم ، ونصحهم لله ورسوله كل بحسب حالته ، هذا النصح هو نوع من النفير فهم داخلون فى النفير بالمعنى العام .

بيد أن قوله تعالى : ﴿انفروا خفافًا وثقالاً﴾ .

ليس خاصًا بالأفراد ، والله سبحانه وتعالى إذا لم يدع عذرًا لمعتذر بالنسبة للأفراد فانه سبحانه وتعالى بهذه الآية نفسها لم يدع عذرًا لمعتذر بالنسبة للدول .

وما من شك فى أن الله سبحانه خاطب بهذه الآية الكريمة المجتمع الإسلامى كله =

. . . .

=نساء ورجالاً ، شبابًا وكهولاً ، دولاً وأفرادًا ، بيد أن التركيز فى الماضى كان يتجه إلى الأفراد ، وذلك لأنهم كانوا أفرادًا فى دولة واحدة هى الدولة الإسلامية المترامية الأطراف .

أما الآن ، وقد فرق الاستعمار ، وفرقت الأهواء ، وفرق حب الرئاسة الأمة الإسلامية فجعلها أممًا : دولاً : ودويلات ، وإمارات ، ولكل منها حدود وفواصل ونظام خاص ، فإن التركيز الآن على الدول .

إن العدو حينما يكون فى أرض الإسلام فان الجهاد يصبح فرض عين على كل مسلم ومسلمة ، ويصبح فرض عين على كل دولة ..

إنه يصبح فرض عين بالكيان كله للفرد ، والكيان كله للدولة ..

والآيات القرآنية الكريمة الخاصة بالجهاد ، والأحاديث النبوية الشريفة التى تتحدث عن الجهاد ، كما تتضمن الدعوة إلى الأفراد فانها تتضمن الدعوة إلى الجماعات .

وإذا خرج الفرد على الجهاد فإنه يكون قد خرج على الإيمان ، وإذا لم تشارك دولة فى الجهاد بكيانها كله – حينما يكون العدو فى أرض الإسلام – فانها بذلك تكون قد أفسدت إيمانها وعارضت بذلك القرآن والسنة .

إن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين ، إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون﴾ (التوبة : ٤٤ ، ٤٥ .) .

وأخرج الله سبحانه بهذه الآية الكريمة كل من تنكر للجهاد فردًا كان أم دولة ، وتنكر الدول للجهاد إنما هو فى حقيقة الأمر تنكر من رؤسائها له . وإذا كانوا يبؤون بالإثم قبل أن يبوّ به شخص آخر فان على شعوبهم أن تثور فى وجوههم ثورة تضطرهم إلى الدخول فى الجهاد بكل ما تملك الدولة من إمكانات ، فاذا لم يفعلوا فهم شركاء فى الإثم والخسران .

ونعود إلى الآية الكريمة ، وإذا كان الله سبحانه وتعالى قال فيها : ﴿انفروا خفافًا وثقالاً﴾ .

فإنه سبحانه أتبع ذلك بقوله :

﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله﴾ .

وكما نفر سلفنا الصالح خفافًا وثقالاً ، فإنهم جاهدوا بأنفسهم وأموالهم فى سبيل الله ، بل تسابقوا بالجهاد بالنفس والمال فى سبيل الله وضربوا بذلك أروع الأمثلة للفداء والتضحية والبذل . .

وهذه لم تدع عذرًا لمعتذر .

ولقد أثارت هذه الآية اهتمام الصحابة والتابعين ، ومن أمثلة ذلك أن « أبا طلحة » رضى الله عنه قرأ سورة براءة ، فلما وصل إلى هذه الآية قال : – كما يروى « ابن كثير » – أرى ربنا استنفرنا شيوخًا وشبانًا ، جهزونى يا بَنِى ، فقال بنوه : يرحمك الله ، قد غزوت مع رسول الله ﷺ حتى مات ، ومع أبى بكر حتى مات ، ومع عمر حتى مات ، فنحن نغزو عنك ، فأبى فركب البحر فمات ، فلم يجدوا له جزيرة يدفنونه فيها إلا بعد تسعة أيام ، فلم يتغير ، فدفنوه فيها .

وهذا الاتجاه فى تفسير الآية روى عن « ابن عباس ، وعكرمة ، وأبى صالح ، والحسن البصرى ، وسهيل بن عطية ، ومقاتل بن حيان ، والثعلبى ، وزيد بن أسلم » .

إنهم قالوا فى تفسير هذه الآية ﴿انفروا خفافًا وثقالاً﴾ : كهولاً وشبانًا ، وكذا قال « عكرمة ، والضحاك ، ومقاتل بن حيان » وغير واحد ، وقال « مجاهد » : شبانًا وشيوخًا ، وأغنياء ومساكين وكذا قال « أبو صالح » وغيره ، وقال « الحكم بن عتيبة » : مشاغيل وغير مشاغيل .

قال العوفى عن « ابن عباس » فى قوله تعالى : ﴿انفروا خفافًا وثقالاً﴾ قالوا : فإن فينا الثقيل وذا الحاجة والضيعة والشغل والمتعسر به أمره ، فأنزل الله الآية الكريمة وأبى أن يعذرهم دون أن ينفروا ﴿خفافًا وثقالاً﴾ أى على ما كان منهم .

وقال « الحسن بن أبى الحسن البصرى » أيضًا فى العسر واليسر ، وهذا كله من مقتضيات العموم فى الآية ، وهذا اختيار « ابن جرير » ونشأ « سعيد » فى كنف أبيه المجاهد ، وأخذ يسير على النسق المعتاد إذ ذاك فى التعلم .

وكان أساس التعلم المعتاد حفظ القرآن ودراسته ، والانغماس فى أنوار الحديث النبوى انغماسًا يشرق بالنور فى القلب ، وبالمعرفة فى العقل ، وتقصى سيرة رسول الله ﷺ ، وكلها تقود الإنسان – حينما يتجه بها إلى الله ويخلص النية فيها – إلى أسمى درجات الهداية ، وأخذ « سعيد » يطوف هنا وهناك فى حلقات الدرس فى المسجد النبوى الشريف ، بل ويطوف بصحابة رسول الله ﷺ فى بيوتهم .

لقد تعشق المعرفة .

على من كان يدرس ؟ وممن كان يستفيد ؟

يقول الزهرى ، وقد سأله سائل :

عمن أخذ « سعيد بن المسيب » علمه ؟

قال : عن « زيد بن ثابت » وجالس « سعد بن أبى وقاص » و « ابن عباس » و « ابن عمر » ، ودخل على أزواج النبى ﷺ : « عائشة وأم سلمة » .

وكان قد سمع من « عثمان بن عفان ، وعلى ، وصهيب ، ومحمد ابن سلمة » ا هـ .

ويقول « سليمان بن يسار » :

كنا نجالس « زيد بن ثابت » « أنا ، وسعيد بن المسيب ، وقبيصة بن ذؤيب » ونجالس « ابن عباس » ا هـ .

وإذا كان قد جالس هؤلاء فإنه قد جالس غيرهم من أصحاب رسول الله ﷺ الذين وجدوا فى عصره ، ولكنه اتصل اتصالا وثيقًا جدًا بأبى هريرة رضى الله عنه .

لقد رأى « أبو هريرة » رضى الله عنه هذا الشاب النشيط — « سعيد بن المسيب » — يذهب هنا وهناك مستمعًا مستفسرًا متعلمًا ، ورآه مهذبًا ذا دين وتقوى فأحبه ، وانتهت صلتهما بأن تزوج « سعيد » ابنة أبى هريرة .

متى تم هذا الزواج ؟ وهل كان « سعيد » هو الذى بدأ الخطبة ؟ أم أن أبا هريرة هو الذى عرض له بالأمر ، أو عرض عليه الأمر ؟

ذلك ما لا نعلمه ؛ وإنما الذى نعلمه هو أن « أبا هريرة » لازم رسول الله ﷺ ملازمة تشبه أن تكون تامة فى السنوات الأخيرة من حياة رسول الله ﷺ ، وأنه حفظ عنه ، يقول الزهرى عن « سعيد » :

وجل روايته المسندة عن « أبى هريرة » وكان زوج ابنته . ويقول سليمان بن يسار :

فأما أبو هريرة فكان « سعيد » أعلمنا بمسنداته ، لصهره منه بيد أن « سعيد » إذا كان قد اغترف من « أبى هريرة » رضى الله عنه ، فإنه كان متخصصًا فى أقضية رسول الله ﷺ وأقضية

« أبى بكر » وأقضية « عمر » ، بل كان يسمى أحيانا راوية « عمر » ، وكان « عبد الله بن عمر » يسأله عن بعض أقضية أبيه .

عن « سعد بن إبراهيم » عن « سعيد بن المسيب » قال : (ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر ، منى) .

ووصل بسعيد الأمر إلى درجة أنه كان يفتى وأصحاب رسول الله ﷺ أحياء ، كما ذكر ذلك « قدامة بن موسى الجمحى » فيما رواه « ابن سعد » .

ولقد اتصل بأصحاب « عمر وعثمان » ، ويقول « الزهرى » : (وكان يقال : ليس أحد أعلم بكل ما مضى « عمر وعثمان » منه) ، ونعود إلى صلة سعيد بأبى هريرة وزواج سعيد بابنة « أبى هريرة » رضى الله عنه .

وما من شك فى أن « أبا هريرة » ربى ابنته فأحسن تربيتها ، ربَّاها بالقدوة ، وربَّاها بما كان يقصه عليها من أخبار رسول الله ﷺ ومن أقواله وأفعاله .

وزفت إلى زوجها « سعيد » فى غير ما صخب أو دعاية ، فما كان ذلك من طبع « سعيد » ولا من طبع « أبى هريرة » . ولزمت هذه الزوجة الفاضلة البيت ، مصرفة لأموره ، فإذا كان هناك وقت فراغ شغلته فى العبادة وشغلته بما ينفع ، لم تخرج من بيتها حتى فى الليلة التى زفت فيها ابنتها ، « فسعيد » — وحده — هو الذى صاحب ابنته إلى زوجها ، وكانت هذه الزوجة سعيدة

بحياتها ، كانت تعيش فى كنف رجل مبارك ، عالم ، تقى ، ورع ، زاهد ، يصرف حياته فى نفع الناس وهدايتهم ، وماذا تريد هى أفضل من هذه الصحبة .

ولكن التاريخ يروى خروجها مرة ، ويروى أيضًا بعض ما تحدث به ، لقد كانت ابنتها فى حالة وضع لأول مرة وكان لابد من عون ، وجاءت إليها أمها ، ونترك الحديث للتاريخ .

يقول « ابن أبى وداعة » زوج بنت « سعيد » : رجعت إلى الدار ، وإذا بها شخص ما رأيته قط ، فرجعت موليًا ، فنادتنى من ورائى :

يا عبد الله : ادخل ، لقد أحل الله لك هذه النظرة .

فقلت : ومن أنت يرحمك الله ؟

قالت : أنا أم الفتاة يا عبد الله ، كيف رأيت أهلك ؟

قلت : جزاكم الله – من أهل بيت – خيرًا ، لقد ربيتم فأحسنتم ، وأدبتم فأحكمتم .

فقالت : – يا عبد الله لا يمنعك مكانها منا أى ترى بعض ما تكره فتحسن أدبها ، يا عبد الله لا تملكها من أمرها ما جاوز نفسها ، فإن المرأة ريحانة ، وليست بقهرمانة ، ولا تكثر التبسم فى وجهها ، فتستخف بك ، بارك الله لكما فى المولود ، وجعله مباركًا ، خائفًا لله تعالى ، ووقاه فتنة الشيطان ، وجعله شبيهًا بجده « سعيد » فوالله إنى لزوجه منذ أربعين سنة ، ما رأيته عصى الله تعالى معصية قط .

ثم خرجت ، فلم أر لها وجها ثمانى عشرة سنة ، حتى قضى عليها الموت ..

(٢) عن حياته :

يقول صاحب الكاشف فى أسلوبه الموجز عن « سعيد بن المسيب » : (« سعيد بن المسيب بن حزن » الإمام « أبو محمد المخزومى » :

أحد الأعلام ، وسيد التابعين ، روى عن « عمر ، وعثمان ، وسعد » وروى عنه : « الزهرى ، وقتادة ، ويحيى بن سعيد » .

ثقة ، حجة ، فقيه .

رفيع الذكر ، رأس فى العلم والعمل) ا هـ .

لقد عاش سعيد بن المسيب حياة عادية ، إسلامية صحيحة ، تزوج وأنجب ، واشتغل بالتجارة لكسب رزقه ، وانغمس فى العلم والعبادة .

ومن المعروف أنه أنجب ابنًا كانت له شهرة فى الأنساب ، وقد أوذى هذا الابن بسبب هذه المعرفة بالأنساب ، وذلك أنه نفى مرة قومًا من نسب معين ، فشكوه إلى الحاكم فعاقبه ، وقد كان الابن معروفًا ، ولكنه لم يكن من رءوس العلماء .

وقد كان لابن المسيب بنت ، ربَّاها فأحسن تربيتها ، وأدبها فأحسن تأديبها : درست العلم .

وقد أثر عن زوجها حديث عنها ، وعن أدبها وتقواها وعلمها ، قال :

(لقد كانت المسألة المعضلة تعيى الفقهاء ، فأسألها عنها ، فأجد عندها منها علمًا !) .

ولكن مسألة ابنته هذه لها قصة : !

كان سعيد بن المسيب يتخذ فى تقديره للناس المبدأ الإسلامى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

ولم يكن تقديره للناس مؤسسًا على دنيا أو جاه أو سلطان .

بعد هذا نقول نقلاً عن كتاب : (مواقف حاسمة للعلماء فى الإسلام) :

(خطب عبد الملك بن مروان - بنت سعيد بن المسيب لابنه الوليد ، لما بلغه من علمها ، وفضلها ، وجمالها ، مضافًا إلى ذلك نسبها فى قريش ، فأرسل برغبته هذه إلى هشام بن إسماعيل المخزومى - والى المدينة ، وصهر عبد الملك ، وقريب : سعيد بن المسيب ، فطار هشام بذلك فرحًا وأخبر وجوه المدينة ، وذهب الوفد ليقابل سعيدًا ، وهم لا يشكون مطلقًا أنه سيوافق على تزويجها ، ومن يرفض أن يزوج ابنته من ابن أمير المؤمنين ؟ وولى عهد المسلمين ؟ !

ولكنهم فوجئوا بالرفض ! وحاولوا أن يثنوه عن موقفه ، ولكنه أصر على الرفض) ا هـ .

رفض سعيد خطبة عبد الملك ، ماذا فعل بعد ذلك ؟ وإذا كان قد رفض أن يكون ولى العهد لابنته فيمن زوجها ؟

لقد قلنا : إنه يتعامل مع الناس على المبدأ القرآني : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ورأى سعيد من بين تلاميذه تلميذًا متواضعًا ، صالحًا تقيًّا ، يحاول ما استطاع أن يكون فى مرضاة الله تعالى . من هو ؟ إنه « عبد الله بن أبى وداعة » ! وتأخر تلميذه هذا أيامًا فسأل عنه — وهذا أمر طبيعى أن يسأل أستاذ عن تلميذ له غائب .

فلما حضر سأله سعيد :

أين كانت غيبتك ؟

فقال : إن أهلى مرضت ، فمرضتها ، ثم ماتت فدفنتها .

فقال له سعيد فى صدق وإخلاص :

يا عبد الله ، أفلا علمتنا بمرضها فنعودها ، أو بموتها فنشهد جنازتها ؟ ثم عزّاه عنها ، مواسيًا ومجاملاً ، ودعا له بالصبر والثواب ودعا لها بالمغفرة والرحمة ، ثم نبه « سعيد » تلميذه إلى الوضع الإسلامى قائلاً :

يا عبد الله ، تزوج ، ولا تلق الله وأنت أعزب !

فقال عبد الله فى تواضع وانكسار :

يرحمك الله ، ومن يزوجنى ، فوالله ما أملك غير أربعة دراهم !

ورأى سعيد تواضعًا وانكسارًا مع علمه بتقواه وصلاحه ، فقال له :

سبحان الله ، أو ليس فى أربعة دراهم ما يستعف به الرجل المسلم ؟

(يا عبد الله ، أنا أزوجك ابنتى إن رضيت !) .

وسكت ابن أبى وداعة استحياءً منه ، وإعظامًا لمكانه ولم يجب فقال له سعيد : مالك سكت ، لعلك سخطت ما عرضنا عليك ؟

فقال ابن أبى وداعة : يرحمك الله ، وهل يأبى ذلك إنسان ؟ فوالله إنى لأعلم أنك لو شئت زوجتها بأربعة آلاف ، وأربعة آلاف ، وكان ابن أبى وداعة يتحدث فى كل ذلك على العرف الجارى ، وفوجىء بقول سعيد له :

قم يا عبد الله ، فادع لى نفرًا من الأنصار .

يقول ابن أبى وداعة : فقمت ، فدعوت حلقة من بعض حلق الأنصار فأشهدهم على النكاح .

لم يستأمر سعيد ابنته ، وفى ذلك يروى عن مالك فى كتابه : (الموطأ) قال : إنه بلغه أن القاسم بن محمد ، وسالم بن عبد الله ، كانا ينكحان بناتهما الأبكار ، ولا يستأمرانهن ، ثم يقول الإمام مالك :

(وذلك الأمر عندنا فى نكاح الأبكار !) .

أى أن البكر لا تستأمر ، وإنما يزوجها أبوها .

أما المهر فكان : أربعة دراهم !

ومشكلة المهر والجهاز والزواج عندنا أصبحت من المشكلات الكبرى ، يتعسف أهل الزوجة فى قيمة المهر ، ويتعسف الزوج

فى تقدير الجهاز ، وكل ذلك نظرات - لموضوع الزواج - مادية . ما كانت تليق بوضع الزواج فى الإسلام !

إن الزواج فى الإسلام :

١ - هو سكن . ٢ - وهو مودة .

٣ - وهو رحمة .

يقول الله تعالى :

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجًا لتسكنوا إليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[١] .

ولقد زوج رسول الله ﷺ رجلاً بامرأة على ما معه من القرآن الكريم ، وقال لآخر فى المهر : « التمس ولو خاتما من حديد » .

ونصح الرجال فى كل الأوقات قائلاً :

« فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

يقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخارى بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه :

« تنكح المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك »

وإذا ظفر الأب بالزوج الصالح كان ذلك مغنمًا كبيرًا ، لا يقف فى وجهه شىء من العقبات ...

---

(١) الروم : ٢١ .

ونعود إلى ما حدث عن زواج ابن أبى وداعة .

لقد صلى الجميع العشاء فى المسجد النبوى الشريف ، ثم انصرف كل إلى منزله .

أما سعيد فإنه قال لبنته – حينما وصل المنزل – :

شدى عليك ثيابك واتبعينى .

فلما شدت عليها ثيابها قال لها :

صلى ركعتين ، فصلت ركعتين ، وصلى هو ركعتين ، وسارا فى الطريق .

وأما ابن أبى وداعة فإنه كان صائمًا ، فلما وصل إلى المنزل أخذ فى الإفطار ، وكان خبزًا وزيتًا .

وبينما هو يتأهب للنوم ، وقد كان من عادتهم أن يناموا بعد العشاء وذلك ليستيقظوا عند ثلث الليل الأخير للعبادة والتهجد ، متأسين برسول الله ﷺ ، ومتجاوبين مع الحديث الشريف :

« ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، حين يبقى ثلث الليل الأخير يقول : من يدعونى فأستجيب له ، من يسألنى فأعطيه ، من يستغفرنى فأغفر لى » .

نقول : بينما هو متأهب للنوم ، إذ به يسمع قرعًا على الباب ، فقال : من هذا ؟

فقال له : سعيد .

يقول ابن أبى وداعة : فوالله لقد خطر ببالى كلُّ سعيد بالمدينة

غير سعيد بن المسيب ، وذلك أنه ما رُئِيَ قط خارجًا من داره إلاّ فى جنازة أو إلى المسجد ، فقلت : من سعيد ؟ قال : سعيد بن المسيب !
– فارتعدت فرائصى وقلت :

لعل الشيخ ندم فجاء يستقيلنى ، فخرجت إليه أجر رجلى ، وفتحت الباب ، فإذا أنا بشابة متلفعة بساج ، وداراب ، عليها متاع ومعها خادم ، فسلم علىَّ ، ثم قال لى :

يا عبد الله : هذه زوجتك !

فقلت مستحييًا منه : يرحمك الله ، كنت أحب أن يتأخر ذلك أيامًا !

فقال لى : ولِمَ ؟ أولست أخبرتنى أن عندك أربعة دراهم ؟ قلت : هو كما ذكرت لك ، ولكن كنت أحب أن يتأخر ذلك !

قال : وعندى لك أهل ؟ هذه زوجتك ، وهذا متاعكم ، وهذه خادم تخدمكم ، معها ألف درهم نفقة لكم ، فخذها يا عبد الله بأمانة الله ، فوالله إنك لتأخذ صوَّامة قوَّامة ، عارفة بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فاتق الله فيها ، ولا يمنعك مكانها منى – إن رأيت منها ما تكره – أن تحسن أدبها) .

ثم دفعها فى الباب ، ورد الباب ، فسقطت الفتاة من الحياء !

قال أبو وداعة : فاستوثقت من الباب ثم صعدت السطح فناديت الجيران ، فجاءونى ، وقالوا : ما شأنك ؟

فقلت : زوجنى سعيد بن المسيب اليوم ابنته ، وقد جاء بها على غفلة ، وها هى فى الدار .

فنزلوا إليها ، وبلغ أمى الخبر فجاءت وقالت لى :

(وجهى من وجهك حرام إن مسستها قبل أن أصلحها ثلاثة أيام !)

فأقمت ثلاثًا ، ثم دخلت بها ، فإذا هى من أجمل الناس ، وأحفظهم لكتاب الله تعالى ، وأعلمهم بسنة رسول الله ﷺ ، وأعرفهم بحق الزوج .

قال : فأقمت معها ما شاء الله ، ثم رزقنى الله منها حملا .

وكان « سعيد بن المسيب » كثيرًا ما يسألنى عنها ، فيقول :

ما فعلت تلك الإنسانة ؟

فأقول : بخير .

فيقول : يا عبد الله إن خفّ عليك أن تزورنا فافعل !

أما بعد :

أيها الآباء والأمهات : اجعلوا همكم كل همكم فى زواج أبنائكم وبناتكم أن تظفروا بذوى الدين شبانًا وفتيات .

أيها الشباب : اتبعوا نصيحة رسول الله ﷺ :

« فاظفر بذات الدين تربت يداك » .

فتياتنا الفضليات : لا تغركن المظاهر ، من غنى أو جاه وإنما : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

(٣) عن حياته :

كان لسعيد بن المسيب عادات حسنة معروفة ، يقول صاحب البداية والنهاية : كان سعيد بن المسيب من أروع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس فى فضول الدنيا ، وذلك لما فى باب طيب الطعام من أخبار وآثار كثيرة ، فمنها مثلاً : روى مسلم عن ابن عباس قال : تليت هذه الآية عند النبى ﷺ :

﴿يا أيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالاً طيبًا﴾ [١٦٨ البقرة]

فقام سعد بن أبى وقاص فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلنى مستجاب الدعوة ، فقال : « يا سعد ، أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة ، والذى نفس محمد بيده إن الرجل ليقذف اللقمة الحرام فى جوفه ما يتقبل منه أربعين يومًا ، وأيما عبد نبت لحمه من السحت والربا فالنار أولى به » .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أيها الناس ، إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال :

﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحًا إنى بما تعملون عليم﴾ [٥١ المؤمنين]

وقال :

﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ [١٧٣ البقرة]
ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء : يارب . يارب .. ومطعمه حرام ، ومشربه حرام ، وملبسه حرام ، وغذى بالحرام ، فأنى يستجاب لذلك ؟ ..

تحرى الحلال :

من أجل ذلك كان سعيد بن المسيب يتحرى الحلال تحريًا دقيقًا ، إن (أطب مطعمك) كانت تلازمه فى كل ما يأكل ، وفى كل ما يشرب ، وفى وصف ذلك يقول صاحب (الحلية) عن عمران بن عبد الله قال : (كان سعيد بن المسيب لا يقبل من أحد شيئًا : لا دينارًا ، ولا درهمًا ، ولا شيئًا) .

قال : وربما عرضت عليه الأشربة فيعرض ، فليس يشرب من شراب أحد منهم .

أما موضوع الأشربة هذا ، فإنه مثلاً كان يكون صائمًا وتأتى صلاة المغرب ، وهو بالمسجد النبوى ، وربما تأخر الشراب الذى يأتيه من بيته ، فيعرض عليه بعض الناس الشراب فيأبى تحريًا للحلال .

ومن كلمات سعيد – كما روى صاحب الحلية :

(إن الدنيا نذلة ، وهى إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها فى غير سبيلها) .

لا مال من الدولة :

ومن جانب آخر كان لا يأخذ من الدولة مالاً ، ورفض أخذ

العطاء وهو مال كانت تنفقه الدولة شهريًا أو سنويًا من بيت المال ، وكان كل من يفرض له العطاء يأخذه ، وكان أبو ذر الغفارى المؤمن التقى الورع يأخذ عطاءه ، ولكن سعيدًا رفض أن يأخذ العطاء من الدولة .

وكان عطاؤه يخزن ويزداد سنة فسنة ، يروى أبو نعيم بسنده عن عمران بن عبد الله بن طلحة قال : دعى سعيد بن المسيب إلى نيف وثلاثين ألفًا ليأخذها ، فقال : (لا حاجة لى فيها) .

وإذا كان لا يقبل العطاء من الأمويين فإنه كان لا يقبل شيئًا من أقاربه أيضًا ، وفى ذلك يروى مالك بن أنس أن ابن عم لسعيد أتاه بأربعة آلاف درهم فأبى أن يأخذها .

حب الجمال :

ومن جانب ثالث كان سعيد يسير متبعًا للأثر : (إن الله جميل يحب الجمال) .

والواقع أن الكثيرين من الصالحين كانوا يحبون الملبس الطيب ، وقد كان أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه يحب الملابس الحسنة الجميلة ، وكان العارف بالله الشيخ إبراهيم أبو العيون أنيقًا فى ملبسه يسترعى الأنظار بأناقته وحسن سمته .

وإذا كان سبحانه أمر باتخاذ الزينة عند كل مسجد ، فإنه سبحانه يحب الجمال فى كل وقت .

وكان سعيد بن المسيب من هؤلاء الذين يتخذون زينتهم فى

كل أوقاتهم ، لأن أوقاتهم كلها عبادة ، فهو كأنه فى كل لحظاته فى المسجد .

يروى ابن سعد عن عمران بن عبد الله ، قال : ما أحصى ما رأيت على سعيد بن المسيب من عدة قصص الهروى [كساء ثمين نفيس يصنع فى بلدة هراة] ، قال :

(وكان يلبس هذه البرود الغالية البيض) .

وكانت الملابس البيضاء أحب الثياب إلى سعيد ، وفى ذلك يقول محمد بن هلال : (لم أرَ سعيد بن المسيب لبس غير البياض ، وكان يلبس الخز ، يقول أبو معشر فيما رواه ابن سعد : رأيت على سعيد بن المسيب الخز .

وروى عن محمد بن هلال أنه قال : رأيت سعيد بن المسيب يعتم وعليه قلنسوة لطيفة بعمامة بيضاء ، لها علم أحمر ، يرخيها وراءه شبرًا .

من أين مال سعيد :

والآن نتساءل : هذا الرزق الحلال ، وهذه الحياة الطيبة ما مصدرها ؟

إن والده ، فيما يبدو ، لم يترك له ثروة ، ولم يكن سعيد عاملاً فى الدولة ، فمن أين كان ينفق ؟

لقد اشتغل سعيد بالتجارة ، وكان كأسلافه ومعاصريه من قريش ، يكتسب حياته من التجارة ، وكان يشتغل بتجارة : الزيت .

يقول أحمد بن عبد الله العجلى : كان سعيد رجلاً صالحًا فقيهًا ، كان لا يأخذ العطاء ، وكانت له بضاعة أربعمائة دينار ، وكان يتجر فى الزيت .

والتجارة الحلال ليست من الدنيا النذلة التى وصفها سعيد فيما مضى ، وكل ما كان حلالاً ليس من الدنيا الخسيسة .

﴿قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا فى الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾ [٣٢ الأعراف]
وانطلاقًا من ذلك يقول الإمام الشعرانى فى طبقاته عن سعيد :

وكان رضى الله عنه يقول : (لا خير فيمن لا يجمع الدنيا ، يصون بها دينه وحسبه ويصل بها رحمه) .

ويقول سعيد أيضا فيما رواه يحيى بن سعيد :

(لا خير فيمن لا يريد جمع المال من حله ، يعطى منه حقه ، ويكف به وجهه عن الناس) .

ويكثر سعيد فى ذكر هذه المعانى تنبيهًا لكل من تحدثه نفسه أن يكون كَلاً على الناس ، أو أن يتخذ البطالة مذهبًا ، فيقول سعيد فى وجه هؤلاء : (لا خير فيمن لا يحب هذا المال ، يصل به رحمه ، ويؤدى به أمانته ، ويستغنى به عن خلق ربه) .

كان عند سعيد رأس المال ، وكان يمسكه : يتاجر فيه ، أو يضارب ويؤدى زكاته كاملة غير منقوصة ، ومع ذلك فإنه كان يتجه إلى الله تعالى قائلاً : (اللّهم إنك تعلم أنى لم أمسكه بخلاً ولا حرصًا عليه ، ولا محبة للدنيا ونيل شهواتها .

وإنما أريد أن أصون به وجهى عن بنى مروان حتى ألقى الله فيحكم فىَّ وفيهم ، وأصل منه رحمى ، وأؤدى منه الحقوق التى فيه ، وأعود منه على الأرملة والفقير والمسكين ، واليتيم والجار) .

ولما مات سعيد ترك مالاً اختلفت الروايات فى قيمته ، فبعضهم يصل به إلى ثلاثة آلاف دينار ، وبعضهم يصل به إلى مائة ، والمعقول أنه بين هذا وذاك ، ولقد ترك هذا المال وهو يقول :

(اللّهم إنك تعلم أنى لم أتركه إلا لأصون دينى وحسبى) .

الدنانير والعلماء :

والواقع أن هذا النمط من العلماء كان يسير فى حياته حرًا كريمًا .

ولقد رأى مرة أحد الأشخاص الإمام سفيان الثورى ومعه مائتان من الدنانير يتاجر فيها ، فقال له :

كل هذا المال وأنت زاهد ؟

فأجاب سفيان الثورى قائلاً كلمة مشهورة ، وتعبيرًا مأثورًا طريفًا : (لولا هذه الدنانير لتمندل بنا الأمراء) .

أى لولا هذه الدنانير لاحتجنا إلى الأمراء فجعلونا فى أيديهم أشبه بالمناديل يتمسحون فيها ويلقونها من يد إلى يد .. و ..

وكان الإمام الربانى الزاهد عبد الله بن المبارك مثلاً كريمًا للتاجر العالم الكبير الذى لا تلهيه تجارته ولا بيعه عن ذكر الله .

ولم تكن تجارة هؤلاء جميعًا للدنيا ، ولم تكن التجارة مهنتهم ولكن كان لابد لهم من مورد رزق لا يكون لأحد عليهم فيه منة

إلا الله تعالى ، وكانوا يتاجرون من أجل الحد المعقول لحياة كريمة ، ولم يكونوا يتاجرون للغنى لأن همهم الأكبر إنما كان الجهاد في سبيل الله .

عمل اليد :

كان سعيد في تجارته متأسيًا بأسلافه ، وكان قدوة لتلاميذه ومريديه ، وكان متَّبعًا للآثار التي وردت عن رسول الله ﷺ ، ومنها ما روى عن المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال : (ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود عليه الصلاة والسلام كان يأكل من عمل يده) [أخرجه البخاري وغيره] .

وفي رواية لابن ماجه : (ما كسب الرجل كسبًا أطيب من عمل يده ، وما أنفق الرجل على نفسه وأهله وولده وخادمه فهو صدقة) .

وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (لأن يأخذ أحدكم أحبله ، فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها ، فيكف بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أم منعوه) [رواه البخاري في صحيحه] .

وعن أنس رضي الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى النبي ﷺ فسأله فقال :

أما في بيتك شيء ؟

قال : بلى ، حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه ، وقعب نشرب فيه الماء .

قال : ائتنى بهما ، فأخذهما رسول الله ﷺ بيده ، فقال : (من يشترى هذين ؟) قال رجل : أنا آخذهما بدرهم ،

قال رسول الله ﷺ :

(من يزيد على درهم ؟ مرتين أو ثلاثة ، قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين) .

فأعطاهما إياه ، فأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصارى وقال : (اشتر بأحدهما طعامًا فانبذه إلى أهلك ، واشتر بالآخر قدومًا فائتنى به) .

فأتاه فشد فيه رسول الله ﷺ عودًا بيده ، ثم قال : (اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يومًا) ، ففعل فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبًا ، وببعضها طعامًا فقال له النبى ﷺ :

(هذا خير لك من أن تجىء المسألة نكتة فى وجهك يوم القيامة)
[رواه أبو داود] .

وعن سعيد بن عمير عن عمه رضى الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الكسب أطيب ؟

قال : (عمل الرجل بيده ، وكل كسب مبرور)
[رواه الحاكم وصحح إسناد] .

وبعد ، فإن الدعوة الإسلامية دعوة إلى الإيمان والعلم والعمل والخلق الكريم ، وقد كان سعيد بن المسيب يجمع بين ذلك كله .

الفصل الثاني
طابعه

نتحدث في هذا الفصل عن سلوك « سعيد بن المسيب » في الحياة ، ونتحدث عن خلقه ، وعاداته ، وتقدير الناس له ، أي أننا نحاول في هذا الفصل أن نكمل الصورة التي مازلنا نجمعها لبنة لبنة ، وسيبقى مع كل ما نكتبه عنه جوانب يتسع لها الحديث : وذلك أن آراه « سعيد » منثورة هنا وهناك في كتب التراث الإسلامية ، على كثرتها .

ولكن هذه الآراء – وإن زادتنا معرفة بفقيه – فإنها سوف لا تزيدنا معرفة بشخصيته .

وإن رجاءنا كبير في أن يكون مذهب « سعيد » الفقهي محل دراسات متعددة حتى يمكن في النهاية أن يقف هذا المذهب بجوار مذاهب الفقه الحالية ، وقد أسهم في ذلك إسهامًا مشكورًا « الدكتور هاشم جميل » ، وأملنا كبير في أن يتابع العمل ، وأن يشاركه في ذلك آخرون يتتبعون أئمة الفقه من التابعين ، وعلى رأسهم فقهاء المدينة السبعة ، الذين سنذكرهم فيما بعد إن شاء الله .

ونعود إلى « سعيد » :

ونبدأ بتقدير العلماء له ، وتقديرهم له ليس تقديرًا للجانب العلمي

فحسب ، وإنما هو تقدير لجوانب عدة ، منها : العلم : العلم بالسنة ، والعلم بالفقه ، والعلم بتفسير القرآن ؛ على الرغم من تحرجه فيما يتعلق بالتفسير .

لم يكن – إذن – تقديرهم له اعتباطا ، وإنما له أسس راسخة الجذور ، باسقة الأغصان من شخصيته : عالمًا ، وعابدًا ، ومستقيمًا .

يقول « على بن حسين » : « سعيد بن المسيب » أعلم الناس بما تقدمه من الآثار ، وأفقههم فى رأيه .

ويقول « ابن رحبان » : « هو سيد التابعين » .

ويقول صاحب الشذرات : أحد أعلام الدنيا ، وسيد التابعين .

ويقول صاحب الشذرات أيضًا : وقال « عبد الرحمن بن زيد بن أسلم » : لما مات العبادلة : « عبد الله بن عباس ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمرو بن العاص » صار الفقه فى جميع البلدان إلى الموالى : فقيه مكة « عطاء » ، وفقيه اليمن « طاووس » ، وفقيه اليمامة « يحيى ابن أبى كثير » ، وفقيه البصرة « الحسن البصرى » ، وفقيه الكوفة « ابراهيم النخعى » ، وفقيه الشام « مكحول » ، وفقيه خراسان « عطاء الخراسانى » إلا المدينة ، فإن الله تعالى حرسها بقرشى .

فقيه غير مدافع « سعيد بن المسيب » وهو من فقهاء المدينة ، جمع بين الحديث ، والتفسير ، والفقه ، والورع ، والعبادة) ا هـ .

وعن « عبد الرازق بن همام » عن معمر قال :

سمعت « الزهرى » يقول : أدركت من قريش أربعة بحور :

« سعيد بن المسيب » ، و « عروة بن الزبير » و « أبا سلمة بن عبد الرحمن » و « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة » .

وقال « الذهبى » : « سعيد بن المسيب » ثقة ، حجة ، فقيه ، رفيع الذكر ، رأس فى العلم والعمل .

وروى عثمان الحارثى عن أحمد بن حنبل قال : أفضل التابعين « سعيد بن المسيب » .

وعن مكحول قال : لما مات سعيد بن المسيب استوى الناس ، ما كان أحد يأنف أن يأتى إلى حَلْقَة سعيد بن المسيب ، ولقد رأيت فيها مجاهدًا وهو يقول : لا يزال الناس بخير ما بقى بين أظهرهم .

وقد تتساءل : لم هذا التقدير ؟ وقد سبق أن فسرناه ، ونزيد هنا الأمر إيضاحًا : كانت مخالطة سعيد للناس عن طريق درسه ، وفى المسجد ، ومن قوله فيما رواه ابن سعد .

(ما أظلنى بيت بالمدينة بعد منزلى إلا أنى آتى ابنه لى فأسلم عليها أحيانًا) .

وفى درسه لم يكن يسير على النمط التقليدى ، وإنما كان ينتهز كل فرصة لتوجيه الناس إلى الله تعالى .

يقول عاصم بن عباس الأسدى - فيما رواه ابن سعد - كان سعيد بن المسيب يذكِّر ويخوِّف .

(وكان لا يخاصم أحدًا ، ولو أراد إنسان رداءه - كما يقول عبد الله الخزاعى - لرمى به إليه ؛ وكان من أزهد الناس فى فضول الدينار كما يقول ابن كثير - وفى الكلام فيما لا يعنى) .

وكان يُفْشي السلام ، ويصافح كل من لقيه .

وعن إفشاء السلام يقول رسول الله ﷺ فيما رواه أبو داود :

« والذى نفسى بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على أمر إذا فعلتموه تحاببتم ، افشوا السلام بينكم » .

وكان لا يكلف أحدًا شيئا حتى فى أتفه الأمور ، يروى صاحب الحلية عن ابن حرملة قال : خرج سعيد بن المسيب فى ليلة مطر ، وطين ، وظلمة ، منصرفًا من العِشاء فأدركه عبد الرحمن بن عمرو ابن سهيل ومعه غلام معه سراج ، فسلم عليه عبد الرحمن ومشيا يتحدثان حتى إذا حاذى عبد الرحمن بداره انصرف إليها ، فقال للغلام : امش مع أبى محمد بالسراج ، فقال سعيد : لا حاجة لى بنوركم ، نور الله خير من نوركم !!

ومع كل ما كان يتسم به من صلابة فى الرأى ، ومن تشدد فى الدين ، فإنه ما كان متزمتًا ، وانظر إلى هذه القصة التى سار فيها سعيد على أساس من قول رسول الله ﷺ :

« ومن ستر مسلمًا ستره الله فى الدنيا والآخرة » .

وانظر إلى خاتمتها الطيبة :

عن ابن حرملة قال : خرجت إلى الصبح ، فوجدت سكران ، فلم أزل أجره حتى أدخلته منزلى ، قال : فلقيت سعيد بن المسيب فقلت : لو أن رجلاً وجد سكران أيدفعه إلى السلطان فيقيم عليه الحد ؟ قال : قال لى : إن استطعت أن تستره بثوبك فافعل .

قال : فرجعت إلى البيت ، فإذا الرجل قد أفاق ، فلما رآني عرفت فيه الحياء ، فقلت : أما تستحى ؟ لو أُخذْتَ البارحة لَحُدِدْتَ فكنت فى الناس مثل الميت ، لا تجوز لك شهادة ، فقال : والله لا أعود له أبدًا . قال ابن حرملة : فرأيته قد حسنت حالته بعد .

أما موقفه من الشعر فعن :

عاصم قال : كان سعيد بن المسيب يحب أن يسمع الشعر ، ولا ينشده .

وفى هذا المجال – مجال عدم التزمت – نروى طرفة ذكرتها كتب الأدب ، (والعهدة فيها على الراوى) .

ذكر عبد الله بن عمر العمرى قال : خرجت حاجًا ، فرأيت امرأة جميلة تتكلم بكلام أَرْفَثَتْ فيه ، فأدنيت ناقتى منها ، ثم قلت لها : ألست حاجَّة ؟ أما تخافين الله ؟ .

فسفرت عن وجه يبهر الشمس حسنًا ، ثم قالت :

تأمل يا عم ، فإنى ممن عناه العرْجِىُّ بقوله :

(أماطت كســاء الخزِّ عن حر وجهها
وأدنت على الخــدين بردًا مهلهـــلا
مـن اللاء لم يحججن يبغين حســـبة
ولكن ليقتلـــن البرىء المغفـــلا)

قال : قلت لها : فإنى أسأل الله ألا يعذب هذا الوجه بالنار .

وبلغ ذلك سعيد بن المسيب رحمه الله ، فقال : أما والله لو كان

من بعض بغضاء العراق لقال لها : اغربى قبحك الله ، ولكنه ظرف عُبَّاد أهل الحجاز .

ويروى صاحب الأغانى عن عبد الجبار بن سعيد المسَاحِقِى عن أبيه قال :

دخلت مسجد رسول الله ﷺ مع نوفل بن مُساحق ، فإنه لمعتمد على يدى إذ مررنا بسعيد بن المسيب فى مجلسه وحوله جلساؤه ، فسلمنا عليه فرد علينا ، ثم قال لنوفل : يا أبا سعيد من أشعر ؟ صاحبنا أم صاحبكم ؟ يريد عبد الله بن قيس أو عمر بن أبى ربيعة ، فقال نوفل : حين يقولان : ماذا يا أبا محمد ؟ .. قال : حين يقول صاحبنا :

خليلى ما بال المطـــايا كأنمـــــا
نراها على الأدبـــار بالقـــوم تنكص
وقد قطعـــت أعناقهـــن صبابـــة
فأنفســـنا ممـــا يلاقـــين شخَّص
وقد أتعب الحـــادى سراهن وانتحى
بهـــن فمـــا يألو عجـــول مقلِّص
يـــزدن بنـــا قـــربًا فيزداد شـــوقنا
إذا زاد طـــول العهد والبعـــد ينقص

ويقول صاحبك ما شئت .. فقال له نوفل : صاحبكم أشعر فى الغزل ، وصاحبنا أكثر أفانين شعر ، فقال سعيد : صدقت ، فلما انقضى ما بينهما من ذكر الشعر ، جعل سعيد يستغفر الله ويعقد بيده حتى وفى مائة ، فقل البكرى فى حديثه عن الجبار : قال مسلم : فلما انصرفنا

قلت لنوفل : أتراه استغفر الله من إنشاد الشعر فى مسجد رسول الله ﷺ ؟ .. فقال : كلا ، هو كثير الإنشاد والاستنشاد للشعر فيه ، ولكن أحسب ذلك للفخر بصاحبه[1] .

ومن طابع سعيد بن المسيب :

« التعبد » وله فى العبادة ومفهومها بصيرة مستنيرة ، وكمقدمة للحديث عن العبادة نتحدث عن بعض أخذه بالسنن : يستنير فيها على منهج الاتباع .

يقول محمد بن هلال : (رأيت سعيد بن المسيب لا يحفى شاربه جدًا ، يأخذ منه أخذًا حسنًا) .

وعن عاصم قال :

(رأيت سعيد بن المسيب لا يدع ظفره يطول) .

(ورأيته يصافح كل من لقيه) .

(ورأيت سعيدًا يكره كثرة الضحك) .

(ورأيت سعيدًا يتوضأ كلما بال ، وإذا توضأ شبك بين أصابعه) .

أما العبادة فإن بكر بن خنيش سأله قائلاً :

(فما التعبد يا أبا محمد ؟ . قال : التفكر فى أمر الله ، والورع عن محارم الله ، وأداء فرائض الله تعالى)[2] .

---

(١) جـ ١ ص ١١٨ ط الهيئة المصرية للتأليف والنشر سنة ١٣٩٠ .
(٢) الحلية .

ذكر ذلك صاحب الحلية ، وذكر أيضًا : أنه سئل مرة أخرى عن العبادة ، فقال :

(العبادة : التفقه فى الدين ، والتفكر فى أمر الله تعالى) .

وعن معاذ بن هشام قال : حدثنى أبى عن قتادة قال : قال سعيد بن المسيب ذات يوم :

(ما نظرت فى أقفاء قوم سبقونى بالصلاة منذ عشرين سنة) .

ويعنى بقوله : (ما نظرت فى أقفاء قوم) : أنه كان دائمًا فى الصف الأول فى المسجد .

أما يوم الجمعة فيذكر ابن سعد :

عن عطاء ، أن سعيد بن المسيب كان إذا دخل المسجد يوم الجمعة لم يتكلم كلامًا حتى يفرغ من صلاته ، وينصرف الإمام ، ثم يصلى ركعات ، ثم يقبل على جلسائه ويسأل .

ويذكر صاحب الحلية الطرفة التالية :

عن ابن حرملة قال :

حفظت صلاة ابن المسيب ، وعمله بالنهار ، فسألت (بُرد) خادمه عن عمله بالليل ، فأخبرنى فقال :

كان لا يدع أن يقرأ (بصاد والقرآن ذى الذكر) كل ليلة فإذا ما وصل إلى آية السجدة سجد ، وقال : فسألته عن ذلك فأخبر أن رجلاً من الأنصار صلى إلى شجرة فقرأ بصاد ، فلما مر بالسجدة ، سجد وسجدت الشجرة معه ، فسمعها تقول :

(اللّهم اعطنى بهذه السجدة أجرًا ، وضع عنى بها وزرًا ، وارزقنى بها شكرًا ، وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود) .

ويقول صاحب الحلية :

قال سعيد بن المسيب :

(من حافظ على الصلوات الخمس فى جماعة ، فقد ملأ البر والبحر عبادة) .

ولكن الصلاة بالنسبة لسعيد كانت قرة عين له :

روى عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن المسيب هذه الكلمات الجميلة قال :

(ما دخل علىّ وقت صلاة إلا وقد أخذت أهبتها ، ولا دخل علىّ أداء فرض إلا وأنا إليه مشتاق) .

ومما يبين مدى حرص سعيد على الصلاة ما رواه كثير من مؤرخيه بعبارات مختلفة كثيرة مستفيضة ، ومن ذلك بعض ما رواه صاحب الحلية ، ونموذج لما كتبه الكثيرون عن سعيد وموقفه من الصلاة .

قال (ابن سهل – عثمان بن حكيم) سمعت سعيد بن المسيب يقول :

(ما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا فى المسجد !!) .

وعن ميمون بن مهران أن سعيد بن المسيب مكث أربعين سنة لم يلق القوم قد خرجوا من المسجد وفرغوا من الصلاة .

وعن عبد الرحمن بن حرملة عن (برد) مولى ابن المسيب قال :

(ما نودى للصلاة منذ أربعين سنة إلاَّ وسعيد فى المسجد) .

ويذكر صاحب الحلية ما يلى :

حدث خالد بن داود (يعنى ابن أبى هند) - عن سعيد ابن المسيب قال :

(ما يقطع الصلاة ؟ قال : الفجور ، ويسترها التقوى) .

ونختتم الحديث عن صلاة سعيد بهذه الكرامة الكريمة التى أوردها صاحب الحلية :

عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن أبيه عن سعيد بن المسيب قال :

دخلت المسجد فى ليلة ، أضحيان ، قال : وأظن أنى قد أصبحت فإذا الليل على حاله ، فقمت أصلى ، فجلست أدعو فإذا هاتف يهتف من خلفى : يا عبد الله قل :

قلت : ما أقول ؟

قال : قل : (اللَّهم إنى أسألك بأنك مالك الملك ، وأنك على كل شىء قدير ، وما تشأ من أمر يكن) ، قال سعيد :

(فما دعوت بها قط لشىء إلا رأيت نُجحه) .

كان سعيد بن المسيب يقوم بالصلاة على هذا النسق إذا كان مقيمًا بالمدينة ، ولكنه فى أسفاره كان أيضًا حريصًا كل الحرص على صلاة الجماعة .

أما الصوم فيذكر ابن سعد :

(كان سعيد بن المسيب يسره الصوم ، فكان إذا غابت الشمس أتى بشراب له من منزله إلى المسجد فشربه) .

وكذلك حدث يزيد بن أبى حازم أن « سعيد بن المسيب كان يسره الصوم » .

ويكفينا فيما يتعلق بالحج ما حدث به سليمان بن أبى بلال عن ابن حرملة قال :

سمعت سعيد بن المسيب يقول : (لقد حججت أربعين حجة) .

هذا ولا يتأتى أن نتحدث عن طابع سعيد دون أن نتحدث عن موقفه من النساء ، وعن رأيه فى فتنة النساء .

ولا يتأتى أن نتحدث عن رأيه فى ذلك ، دون أن نبين موقف الإسلام — فى إيجاز موجز — من هذا الموضوع الذى عمت بلواه وكثر فساده ، وأصبح فتنته تكاد تبسط سوءها فى كثير من الأجواء فى مجتمعنا الحاضر .

سعيد بن المسيب والنساء :

إن للإسلام موقفًا واضحًا لما ينبغى أن تكون عليه المرأة من حشمة ، ومن كمال ، ومن أدب ، ومن عفة .

وللإسلام موقفه الواضح فيما يتعلق بالصلة بين الرجل والمرأة .

وما من شك فى أن الكثير من النساء قد استجبن لله ولرسوله والتزمن أوامر الله ورسوله التزامًا وضعهن فى الدرجة الأولى من زمرة المؤمنين .

ولقد تحدَّث الله سبحانه وتعالى عن بعض النساء فى القرآن الكريم ، مثنيًا أو مستنكرًا ، يقول سبحانه :

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئًا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين﴾(1) .

﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت : رب ابن لى عندك بيتًا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ، ونجنى من القوم الظالمين﴾(2) .

﴿ومريم ابنة عمران التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه ، وكانت من القانتين﴾(3) .

ولمريم رضى الله عنها يقول تعالى :

﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين ، يا مريم اقنتى لربك واسجدى واركعى مع الراكعين﴾(4) .

ويقول فى موضوع الحشمة :

﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن ، ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن ، أو آبائهن ، أو آباء بعولتهن ، أو أبنائهن ، أو أبناء بعولتهن ، أو إخوانهن ، أو بنى إخوانهن ، أو بنى أخواتهن ، أو

---

(1) التحريم : ١٠ .
(2) التحريم : ١١ .
(3) التحريم : ١٢ .
(4) آل عمران : ٤٢ ، ٤٣ .

نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ، ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ، وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾[1] .

وإذا كان يقول لنساء الرسول ﷺ :

﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض ، وقلن قولا معروفا﴾[2] .

ويقول تعالى :

﴿وإذا سألتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ، ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن﴾[3] .

إذا كان ذلك لنساء الرسول ﷺ ، فغيرهن من باب أولى .

وأما الصلة الجنسية المحرمة ، فيقول سبحانه فيها :

﴿الزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله ، إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ .

﴿الزانى لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ، وحرم ذلك على المؤمنين﴾[4] ، وقد أوضحت السنة

---

(١) النور : ٣١ .
(٢) الأحزاب : ٣٢ .
(٣) الأحزاب : ٥٣ .
(٤) النور : ٢ ، ٣ .

القرآن الكريم ، وأبانت الكثير مما أجمله ، ونذكر من ذلك بعض مظاهر الجو الإسلامى بالنسبة للمرأة .

١ - عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ :

« صنفان من أهل النار لم أرهما :

قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات ، عاريات ، مميلات مائلات ، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا ... »

[رواه مسلم] .

٢ - عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر سفرًا يكون ثلاثة أيام فصاعدًا إلا ومعها أبوها ، أو أخوها ، أو زوجها ، أو ابنها ، أو ذو محرم منها »

[رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه] .

٣ - عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :

« لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر ثلاثًا إلا ومعها ذو محرم منها » . [رواه البخارى ومسلم وأبو داود] .

٤ - عن أبى سعيد ، أن رسول الله ﷺ قام خطيبًا فكان فيما قال :

« إن الدنيا خضرة حلوة ، وإن الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، ألا فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء » .

[أخرجه ابن ماجه في باب فتنة النساء] .

٥ – عن أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أدع بعدى فتنة أضرّ على الرجال من النساء » [رواه ابن ماجه والترمذى مع اختلاف يسير فى الألفاظ ، وقال عنه : حسن صحيح] .

٦ – روى أن أبا هريرة لقى امرأة متطيبة تريد المسجد ، فقال يا أمة الجبار أين تريدين ؟ قالت : المسجد ، قال : وله تطيبتِ ؟ قالت : نعم ، قال : فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : (أيما امرأة تطيبت ثم خرجت إلى المسجد ، لم تقبل لها صلاة حتى تغتسل) [رواه ابن ماجه] .

٧ – عن عبد الرحمن بن شبل رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول :

« إن الفساق هم أهل النار ، قالوا يا رسول الله ، وما الفساق ؟ قال : النساء . قال رجل : يا رسول الله ، أليس أمهاتنا ، وأخواتنا ، وأزواجنا ؟ قال : بلى ، ولكنهن إذا أعطين لم يشكرن ، وإذا ابتلين لم يصبرن » [هذا حديث صحيح على شرط الشيخين] .

٨ – عن الطفيل بن أبى بن كعب ، عن أبيه ، رضى الله عنه ، قال : بينا نحن مع رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ، فى صلاة الظهر والناس فى الصفوف خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فرأينا رسول الله ، صلى الله عليه وآله وسلم ،

يتناول شيئا فجعل يتناوله فتأخر ، وتأخر الناس ، ثم تأخر الثانية ، فتأخر الناس ، فقلت يا رسول الله ، رأيناك صنعت اليوم شيئًا ما كنت تصنعه فى الصلاة ؟ فقال : « إنه عرضت علىَّ الجنة بما فيها من الزهرة والنضرة ، فتناولت قطفًا من عنبها ، ولو أخذته لأكل منه مَنْ بين السماء والأرض لا ينقصونه ، فحيل بينى وبينه ، وعرضت علىَّ النار ، فلما وجدت سفعتها تأخرت عنها ، وأكثر من رأيت فيها النساء ، إن ائتمن أفشين ، وإن سألن ألحفن ، وإذا سئلن بخلن ، وإذا أعطين لم يشكرن » .

[حديث صحيح على شرط البخارى ومسلم] .

٩ – عن عبد الله أن النبى ، ﷺ ، قال : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات ، مبتغيات للحسن ، مغيرات خلق الله .

[الترمذى حسن صحيح] .

« المتنمصة : التى تزيل شعر وجهها أو جبينها بخيط أو نحوه » .

١٠ – عن ابن عمر رضى الله عنه ، عن النبى ، ﷺ ، قال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة ، والواشمة والمستوشمة »

[الترمذى حسن صحيح].

الواشمة : التى تجعل الوشم على ذراعها ، أو على جزء آخر من جسمها .

والمستوشمة : هى التى تطلب من يفعل لها ذلك .

الواصلة : من النساء : التى تصل شعرها بشعر غيرها .

قال أبو عبيد : هذا فى الشعر ، وذلك أن تصل المرأة شعرها بشعر آخر زورا ، وروى فى حديث آخر :

« أيما امرأة وصلت شعرها بشعر آخر كان زورًا » [لسان العرب] .

١١ – عن ابن عباس قال : لعن رسول الله ، ﷺ ، المتشبهات بالرجال من النساء ، والمتشبهين بالنساء من الرجال. [حسن صحيح] .

١٢ – وفى رواية عنه : لعن رسول الله ، ﷺ ، المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء . [حسن صحيح] .

١٣ – عن أبى موسى عن النبى ، ﷺ ، قال :

« كل عين زانية ، والمرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهى كذا وكذا » ، يعنى زانية . [حسن صحيح] .

١٤ – روى مسلم بسنده ، عن ابن عباس قال : سمعت النبى ، ﷺ ، يخطب يقول : « لا يخلون رجل بامرأة إلا ومعها ذو محرم ، ولا تسافر المرأة إلا مع ذى محرم ، فقام رجل فقال : يا رسول الله ، إن امرأتى خرجت حاجَّة ، وإنى اكتتبت فى غزوة كذا وكذا ، قال : انطلق فحج مع امرأتك .. » .

وقد يظن بعض الناس أن الإسلام بالغ فى الحفاظ على المرأة ،

ونقول : إن كل مبالغة فى الحفاظ على المرأة هى تكريم لها ، بيد أنه إذا أحب الإنسان أن يأخذ صورة لما عساه أن تبلغ فتنة النساء فليقرأ شعر « عمر بن أبى ربيعة » – وهو شعر واقعى – ولينظر مدى استجابة النساء له ، وإنه ليصل الأمر بهن أن يتعرضن له ، وأكثر من ذلك كن يستقدمنه إليهن .

أو لينظر قول بشار فى فحشه وبذاءته :

لا يؤيسنك من مخدّرة ... قول تغلّظه وإن جرحا
عسر النساء إلى مياسرة ... والصعب يمكن بعدما جمحا

أو قول الآخر : فى وقاحته وتسفله :

إن النساء وإن وصفن بعفةٍ ... فيما يظاهر فى الأمور ويكتم
لحم أطاف به سباع جوّع ... ما لا يذاد فإنه يتقسّم
اليوم عندك دلُّها وحديثها ... وغدا لغيرك كفها والمعصم
كالخان تسكنه وترحل غاديًا ... ويحل بعدك فيه من لا تعلم

ولقد كان كل ذلك أيام أن لم تكن مثيرات « السينما » والتلفزيون والأدب المكشوف ، وقد كان ذلك أيام أن لم يكن الاختلاط فى الجامعات وفى المكاتب .

وكان ذلك أيام أن كان نظام « السكرتيرات » لا وجود له .

وكان ذلك أيام أن لم تكن « الموضة » الخاضعة دائمًا لمحلات الأزياء التى يديرها اليهود ، ويحاولون عن طريقها نشر الفساد بأخبث الوسائل .

ولقد وصل الأمر الآن بالنساء أن يذهبن إلى الشواطئ ويتعرين ، ويكشفن عما وجب أن يستر ، والغريب فى الأمر أن أزواجهن أو آباءهن أو إخوانهن يرون ذلك ويرضون عنه .

لا دين ، ولا فضيلة ، ولا شهامة ، ولا مروءة : لحم عار ، ينظر إليه الغادى والرائح دون خجل أو حياء .

وتسقط الفتاة تلو الأخرى فى الرذيلة ، بل يسقطن زرافات ووحدانا .

يسقطن على الشاطئ ، وفى الجامعة ، وفى مقر الوظيفة ، فضلاً عن سقوطهن فى الشارع وفى السهرات التى تتعرى الظهور فيها ، وأعالى الصدور .

والحديث عن ذلك يطول :

وكل أب ، وأخ ، وابن مسئول عن محيطه ورعيته .

ونحب الآن أن نذكر كلمات عن رأى « سعيد بن المسيب » الذى كان كل ما سبق تمهيدًا وتبريرًا لرأيه ، إنه يقول :

« قد بلغت ثمانين سنة ، وما شىء عندى أخوف من النساء » ! وكان بصره قد ذهب ، ويقول فيما حدث « على بن يزيد » :

« ما أيس الشيطان من شىء إلا أتاه من قبل النساء » ..

وقال على بن يزيد ، : أخبرنا « سعيد » – وهو ابن أربع وثمانين سنة ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، وهو يعشو بالأخرى :

« ما شىء أخوف عندى من النساء » ..

وقال « سعيد بن المسيب » :

« ما خفت على نفسى شيئا مخافة النساء ، فقالوا له : يا أبا محمد ، إن مثلك لا يريد النساء ، ولا تريده النساء !

قال : هو ما أقول لكم .

قال الراوى : وكان شيخًا كبيرًا أعمش ..

والسؤال الآن هو :

أكان « سعيد بن المسيب » مخطئًا ؟

ألا تُستَعْمل النساء الآن فيما ييأس منه الشيطان ؟

ألا تستعمل فى التجسس ، وفى قيادة الرجال إلى ما يردن ، وفى مآرب لليهود والأعداء المفسدين ؟

اللّهم إنا نستعينك ونستهديك ، ونستغفرك ، ونرجو أن تهدى الأمة الإسلامية إلى الطريق المستقيم ، وأن تسير بها فى سبيلك الطاهر ، إنك سميع قريب مجيب .

الفصل الثالث

امتحان ومحنة

(١) امتحان ومحنة :

إن « سعيد بن المسيب » من كبار أئمة العلماء فى الحديث ، وفى الفقه ، وقد ولد – كما يقول – : لسنتين مضتا من خلافة « عمر بن الخطاب » ، رضى الله عنه ، وقد نيّفت حياته على الثمانين سنة .

ويتحدث عنه صاحب الحلية فيقول :

« أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن المخزومى » ، **كان من المتحنين** : امتحن فلم تأخذه فى الله لومة لائِم » !

ونحب فى ابتداء الحديث عن امتحان « سعيد بن المسيب » أن نبدأ ببيان صفة من أهم صفاته ، وهى : صفة الاستمساك بالحق !

وهو فى هذا الاستمساك ، بالحق لا يقل عن الإمام « أحمد بن حنبل » ، ولا عن الإمام « سفيان الثورى » .

وإذا كان لهذين الإمامين الجليلين – اللذين أتيا بعده ، ولغيرهما من الذين آثروا رضوان الله على متاع الدنيا – من قدوة ، فإن قدوتهم الأولى رسول الله ، ﷺ ، الذى عرضت عليه الدنيا ممثلة فى الملك والمال والرياسة و .. الخ ، فقال مقالته التى سارت مسير الضوء :

« والله لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر ما تركته ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه ! »

وقدوتهم من بعده ، ﷺ ، « الصديق » !

« الصديق » الذى قال حين ارتد بعض الأعراب — بامتناعهم عن أداء الزكاة — ما معناه :

« والله لو لم يخرج أحد لحربهم لخرجت إليهم وحدى » !

ولقد سار كثير من أسلافنا وعلمائنا على هذا النهج المؤمن ، الذى لا يبالى فى سبيل الله بما يصيبه ، « ذلك بأنهم » .

﴿لا يصيبهم ظمأ ، ولا نصب ، ولا مخمصة فى سبيل الله ، ولا يطئون موطئا يغيظ الكفار ، ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح ...﴾[1] .

وكان يكفى الإمام « أحمد » أن يقول : « القرآن مخلوق » ، أو يقول كلمة تعبر عن تورية ، مجرد كلمة مشتبهة ، فيرفع عنه العذاب والتنكيل ، ولكنه أبى إباء المؤمنين المعتزين بالله ، وأدخل السجن وضرب بالسياط فلم ينل ذلك من عزيمته ولا قلامة ظفر !

ونحن نعتز بالإمام « أحمد » كصورة كريمة للعزيمة التى لا تلين فى سبيل ما تراه حقاً .

ولقد نادى « أبو جعفر المنصور » يومًا :

« إذا رأيتم « سفيان الثورى » فاصلبوه » !

---

(١) التوبة : ١٢٠ .

وكان هذا أمرًا لكل الولاة والحكام بالقبض عليه وصلبه ، وكان يكفى « سفيان » أن يقول كلمات هينة فى مدح « أبى جعفر » فيعفو عنه ، ويجزل له العطاء من عرض الدنيا ، ولكنه لم يقل شيئًا ونجاه الله تعالى ، ومات « أبو جعفر المنصور » ولم يصب « سفيان الثورى » بسوء ، وعاش بعد أبى جعفر سنين !

وأما « سعيد بن المسيب » فيقول المؤرخون عنه :

« إن نفسه كانت أهون عليه فى سبيل الله من نفس ذبابة » ، لقد باع نفسه فى سبيل الله ، فما كان يعنيه قط : أوقع على الموت أم وقع عليه الموت ، وما كان يبالى - فى سبيل الله - على أى جنب كان مصرعه !

لقد درس سنة رسول الله ، ﷺ ، كأعمق وأحسن ما تكون الدراسة ، ودرس سيرة رسول الله ، ﷺ ، كأعمق وأحسن ما تكون الدراسة ، ودراسته السنة ، ودراسته السيرة الشريفة لهما آثارهما الكثيرة .

وقد سبق أن كتبنا فى السنة ودراستها كلمات نعيد جزءًا يسيرًا منها هنا :

« إن السنة : دعوة بالحسنى إلى الرقى الأخلاقى الذى تجرى وراءه الإنسانية المهذبة ، إنها دعوة إلى التاجر : أن يكون صدوقًا ، فيحشر مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين .

وإلى العامل : أن يتقن عمله ، لأن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه !

وإلى الصانع : أن يؤدى العمل كما يحب ، حيث أخذ الأجر ، ومن أخذ الأجر حاسبه الله على العمل !

وهى دعوة إلى الأب ، باعتباره أبًا ، وإلى الأم فى وضعها كأم ، وإلى الأخ فى مهمته كأخ ، وإلى غيرهم من أفراد المجتمع : أن يرعى كل منهم ما وكل إليه من أمر رعيته ؛ لأنه مسئول عن رعيته ، « وكلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته » !

وهى دعوة للناس إلى الأمانة ، حيث أنه : « لا إيمان لمن لا أمانة له » !

وإلى الصدق : « وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقًا » !

وإلى الرحمة – الرحمة العامة الشاملة – وصلوات الله وسلامه على من قال : « إنما أنا رحمة مهداة » .

ومن قال : « ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء » !

وخذ أى خلق كريم تتمنى أن يسير عليه المجتمع ، فستجد فى السنة دعوة إليه بوسيلة وبأخرى ، وبثالثة .

وهى فى هذه الدعوة تنبه دائمًا إلى دور الأمة الإسلامية فى الاخلاق العالمية ، إن دورها : إنما **هو دور الرائدة الراعية** ، وعلى الرائد دائما أن يكون المثل الأعلى والأسوة الكريمة ، والقدوة الصالحة .

ولقد كان رسول الله ، ﷺ ، الصورة الحية الناطقة التى طبقت كمبادىء إنسانية ، ممكنة : الخلق الذى رسمه الله وأحبه للإنسانية جمعاء ، والذى عبرت عنه السنة أجمل تعبير وأبلغه » !

درس الإمام « سعيد » السنة ، وتشربت روحه بها ، ودرس سيرة ، رسول الله ﷺ ، واتخذها نبراسًا يهتدى بضوئه ، فكان :

يعتز بالله ، ويتوكل عليه ، ويرجوه وحده ، وحينما تتأزم به الأوضاع لا يلجأ إلا إليه ، سبحانه !

هذا الاعتزاز بالله ، وهذه الكرامة الإسلامية لم يألفها أهل الدنيا ، وأصحاب الأهواء والشهوات ، وعبيد الأموال ، وعبيد الجاه !

وكثير من هؤلاء لم يفهموا الإمام « **سعيد » على حقيقته !**

وكثير منهم كان يثور العجب فى نفسه لتصرفات الإمام !

وكثير منهم كان يفهم ، ولكنه ما كان يستطيع أن يجارى الإمام فى الاعتزاز بالله سبحانه !

وما كان امتحان الإمام – الذى ذكره صاحب الحلية – إلاّ ناشئًا عن اختيار « سعيد » لطريق حزب الله !

أتدرى من هم حزب الله ؟ !

إن الله سبحانه وتعالى بيَّن صفة حزبه فقال تعالى :

﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ، أو أبناءهم ، أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان وأيدَّهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ، ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألاَ إن حزب الله هم المفلحون﴾[1] !

---

(١) المجادلة : ٢٢ .

كان الإمام من حزب الله ، ومن كان من حزب الله يحس بالله تعالى ناظرًا إليه فى كل وقت ، ومعه فى كل وقت : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾[1] .

فلا يفعل إلا ما يرضيه سبحانه : إنه لا يتملق ، ولا يداهن ، ولا يأتى بما يغضب الله تعالى ، فإذا كان عالمًا سار فى حياته على أنه من ورثة الأنبياء ، كما يقول رسول الله ، ﷺ :

« ... وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهمًا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » .

وعن العلم والعلماء يتحدث القرآن الكريم ، وتتحدث السنة النبوية الشريفة فى استفاضة .

كان الإمام « سعيد بن المسيب » .. يعيش فى حياته على الأسوة برسول الله ، ﷺ ، كما ذكرنا ، ومن هنا كان يعرف لنفسه كرامتها ، ويعرف لها طريقها فى الحياة .

ومن هنا أيضًا كان بينه وبين الحكام الذين لا يسيرون على نهج الشرع خصومة دائمة .

أما الحكام العادلون ، فإنه كان يذكرهم بكل خير ، وكان يلين لهم ، بل ويزورهم .

لقد كان « عمر بن عبد العزيز » رضى الله عنه يقدر « سعيد بن المسيب » ، وكان « سعيد » يقدره ويحبه ، ويتحدث عنه .

---

(١) الحديد : ٤ .

أما بنو أمية ، وبنو مروان على الخصوص ، فإنه كان يبتعد عنهم ، دون أن يصرفه ذلك عن قول الحق .

ومن طريف ما حدث يومًا أن « عبد الملك بن مروان » جاء إلى مدينة رسول الله ، ﷺ ، يتفقد أحوالها ، وأحب أن ينام فى الظهيرة ، كعادته ، « فامتنعت منه القائلة » ، ولم يجد للنوم من سبيل ، فقال لحاجبه :

انظر هل فى المسجد أحد من حُداثنا من أهل المدينة ؟ ، فخرج الحاجب إلى المسجد ، فوجد « سعيد بن المسيب » فى حلقة له ، فوقف بحيث يراه « سعيد » ، ولما نظر إليه « سعيد » غمزه بعينه ، وأشار إليه بإصبعه : أن اتبعنى ، ثم ولىَّ ، واعتقد الحاجب أن « سعيدًا » يتبعه !

ومن الذى يمتنع عن إشارة حاجب الخليفة ؟ إن إشارته تكفى لأن يهرول من أشار إليه ، خاضعًا مسرورًا !

ولكن الحاجب تلفت فلم ير « سعيدًا » على أثره !

إن سعيدًا لم يتحرك ، ولم يتبعه ، فدهش الحاجب ، وقال فى نفسه :

« أراه لم يفطن إلىَّ » ، فجاء ودنا منه ، وقال له :

ألم ترنى أشير إليك ؟

قال « سعيد » وما حاجتك ؟

قال : استيقظ أمير المؤمنين فقال : انظر فى المسجد أحدًا من حُدّاثى فأجب أمير المؤمنين !

قال « سعيد » : هل أرسلك إلىّ ؟

قال : لا ، ولكن قال : اذهب فانظر بعض حداثنا [محدثينا] من أهل المدينة ، فلم أر أهيأ منك !

فقال « سعيد » والهدوء يملؤه : اذهب فأعلمه أنى لست من حُدّاثه !

وغمر الحاجب تيارٌ من الدهشة ، إذ لم يكن يعرف الإمام من قبل ، وخرج وهو يقول : « ما أرى هذا الشيخ إلا مجنونًا » !

وإنه لمجنون فى عرف عبيد الدنيا ، ولكنه فى أعراف الحق يسير على هدى من قوله تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ .

وذهب الحاجب إلى « عبد الملك » فقال له :

ما وجدت فى المسجد إلاّ شيخًا أشرت إليه فلم يقم ، فقلت له : إن أمير المؤمنين قال : انظر هل ترى فى المسجد أحدًا من حُدّاثى ؟

فقال : إنى لست من حُدّاث أمير المؤمنين ، وقال لى : أعلمه !

وكان عبد الملك ذكيًّا فطنًا ، فقال : ذلك « سعيد بن المسيب » فدعه !

(٢) **امتحان ومحنة :**

وقصة أخرى : قبل أن نتحدث عن « امتحانه » ، نتبين منها إحدى الصفات الأصيلة فى « سعيد بن المسيب » ، وهى : أنه ما كان يقيم وزنًا إلا للمتقين !

أما الجاه ، والمنصب ، والرياسات على اختلاف أنواعها ، فإنه كان أكرم على نفسه من أن يداهن ، أو ينافق ويتملق ، وهذه القصة رواها « صالح بن كيسان » :

كان « عمر بن عبد العزيز » ، رضى الله عنه ، واليًا على المدينة – وذلك قبل أن يتولى الخلافة – وجاء الخبر لعمر رضى الله عنه أن « الوليد بن عبد الملك » قادم إلى المدينة ، فخرج « عمر » ومعه عشرون رجلاً من أعيان قريش لاستقبال « الوليد » ، وكان الاستقبال خارج المدينة على بعد ليلتين منها ، إنهم انتظروه فى « السويداء » .

وقبل وصولهم إلى المدينة بقليل ، أخلى مسجد رسول الله ، ﷺ ، فأُخرِجَ الناسُ منه ، فما ترك فيه أحد ، وبقى « سعيد بن المسيب » فى مصلاه ، ما يجترئ أحد من الحرس أن يخرجه !

فلما دخل « الوليد » المدينة غدا إلى المسجد الشريف ، فقيل لسعيد : لو قمت ، فقال :

والله لا أقوم حتى يأتى الوقت الذى كنت أقوم فيه !

قيل له : فلو سلمت على أمير المؤمنين !

قال : والله لا أقوم إليه !

وكان « عمر بن عبد العزيز » فى شىء من الحرج والإشفاق ، إنه يقول : « فجعلت أعدل « بالوليد » ناحية المسجد : رجاء ألا يرى « سعيدًا » حتى يقوم ؛ فحانت من الوليد نظرة إلى القبلة فقال :

من الجالس ؟ أهو الشيخ « سعيد بن المسيب » ؟ ! فجعل « عمر » يقول : نعم يا أمير المؤمنين « من حاله ، ومن حاله ... » — وأخذ يحدثه عن صفات « سعيد » — ولو علم بمكانك لقام فسلم عليك ، وهو ضعيف البصر .

قال « الوليد » قد علمت حاله ، ونحن نأتيه فنسلم عليه !

ثم دار « الوليد » فى المسجد حتى وقف على الضريح الشريف ، ثم أقبل حتى وقف على « سعيد » ، فقال :

« كيف أنت أيها الشيخ » ؟

يقول « عمر » : فوالله ما تحرك « سعيد » ولا قام ، فقال : بخير ، والحمد لله ، فكيف أمير المؤمنين ، وكيف حاله ؟

قال « الوليد » : بخير ، والحمد لله .

وانصرف « الوليد » !! !

ماذا كان شعوره ؟ ما الذى أحس به ؟

إن « سعيدًا » كان قد عُرف فى عهد « الوليد » ، وكانت أحواله وصفاته قد استقرت فى أذهان الناس : لقد عُرف أن « سعيدا » ليس

رجل مؤامرات ، ولا تطلعات إلى حكم أو منصب ، أو رياسة ، وأن همه كل همه تحقيق التقوى والقرب من الله تعالى ، والهداية إلى الصراط المستقيم ، وما كانت الدنيا فى نظره إلا معبرا للآخرة .

كل ذلك كان قد عُرف معرفة تامة فى أيام « الوليد » ، ولذلك لم يغضب « الوليد » ، ولم يحدث فى نفسه ضيق من أمر « سعيد » ، كان تعليقه الذى قاله لعمر :

« هذا بقية الناس » !

وهو تعبير يطابق فى معناه ما نقوله نحن الآن عن رجل نقى :

« هذا بقية السلف الصالح »

وأجاب « عمر » : أجل يا أمير المؤمنين .

والواقع أن الطريق الذى سار فيه « سعيد بن المسيب » من البعد عن شهوة الحكم وعن حب الرياسة ، وعن المؤامرات والانقلابات : هو الطريق السليم ، والعالِم الإسلامى هو وريث ، رسول الله ، ﷺ ، فى الدعوة ، وهو حينما ينجح فى هداية المجتمع يكون قد وصل إلى ما يصبو إليه من الهداية فى الأحكام ، وإذا صلح المجتمع كأفراد ، فإنه لابد وأن يصلح كحكام ؛ ولكن شهوة الحكم غلاَّبة ، وهى إذا دخلت على العلماء أفسدتهم ، وأفسدت المجتمع معهم ، وثارت حرب عوان بينهم وبين الحاكمين ، وهى عادة تكون وبالاً على العلماء ، أكثر مما تكون وبالاً على الحاكمين ؛ ولكن إذا اطمأن الحكام إلى النوايا السليمة للمصلحين الداعين إلى الله تعالى ، وإلى

تحكيم كتابه الكريم ؛ والاقتداء برسوله ، ﷺ ؛ وإذا التزم العلماء السلوك الصالح ، وكرسوا أنفسهم للعلم النافع ، وأخلصوا وجوههم لله فى الدعوة إليه ، وإلى العمل بشريعته ، فإن أثرهم عند الشعب وعند الحاكمين يكون أثرًا قويًّا ، ينتهى عادة بصلاح المجتمع ، رعية ورؤساء .

يقول سادتنا الصوفية : إن الإنسان حينما يوفقه الله للأخذ فى طريقه سبحانه ، فإنه يبدأ بنفض الرذائل رذيلة رذيلة ، ولكن إحدى هذه الرذائل تستعصى عليه وتتأبى ، وهى رذيلة حب الرياسة ، فإذا ما أخلص القلب لله ، ونفض هذه الرذيلة ، فإنه يصبح من المخلِصين المُخلَصِينَ .

وحب الرياسة يظهر أحيانًا فى صور هينة ، مثل أن يحب الإنسان مدح نفسه ، فلا تكاد تجلس معه حتى يكون مدارُ الحديث عن نفسه ، وحتى يكون هو مركز الدائرة فى الحديث ، إنه فعل كذا ، وقام بكذا ، وقال كذا ؛ وهكذا دواليك ، وهذا الصنف ليس له فى الإخلاص نصيب وافر .

ولكن حب الرياسة الحقيقى هو أن تنازع أصحاب المراكز مراكزهم بالمؤامرات ، والانقلابات ، والمكر ، والخديعة ، وكلما دخل ذلك فى جو الدعوة أفسدها .

ونأى « سعيد بن المسيب » بنفسه عن ذلك ، وأخلص وجهه للدعوة ، ولكنه قد أصابه – من شرر الرياسة والحكم والسياسة – الشيءُ الكثير .

لم يكن يدخل فى السياسة ، ولكنه أحيانًا كان يدعى إلى عمل يعتقد أنه مناف للدين ، فيأبى .

كان الامتحان والابتلاء يدخل عليه دون أن يحاول هو الدخول فيه ، وكان أشد ما لقى فى ذلك هو من هؤلاء الذين يتنازعون الحكم ، وتتمكن من نفوسهم شهوته ، ويريدون أن يستنصروا « بسعيد بن المسيب » على ما يريدون .

ويصادف أن يكون اليقين عند « سعيد » فى رأيه يخالف ما يطلبون ، فينكل به ، وهو أعزل ، ويُساء إليه ، وهو ليس بصاحب شر ، وأول ما ناله من ذلك على يد الوالى من قبل « عبد الله بن الزبير » .

لقد ثار « عبد الله بن الزبير » على الأمويين ، ودعا لنفسه بالخلافة ، وبايعه خلق كثير ، ولكن امتنع عن البيعة البعض ، ومن هذا البعض .

« عبد الله بن عمر » .

و « سعيد بن المسيب » .

أما « عبد الله بن عمر » فلم يتعرض له « ابن الزبير » ، بل كان رفيقًا به ، ولا يتأتى غير ذلك مع « عبد الله بن عمر » ، فإنه رجل وهب نفسه لله ، لا ينظر إلى دنيا ، ولا إلى منصب ، ولا إلى جاه ، وكان الناس جميعًا يحترمونه لكثير من صفات الخير فيه ، ومركز الدائرة فى صفاته أنه كان يتحرى تحريًا تامًّا ما كان يفعله الرسول ، ﷺ ، فى حياته ، ويحاول – ما استطاع إلى ذلك سبيلاً – أن يفعل مثله ، بيد أن مسألة بيعة « عبد الله بن الزبير » لها قصة .

قال « الهيثم » : ثم إن ابن « الزبير » مضى إلى « صفية » بنت « أبى عبيد » .

وزوجة « عبد الله بن عمر » ، فذكر لها أن خروجه كان غضبًا لله تعالى ورسوله ، عليه الصلاة والسلام ، والمهاجرين والأنصار من أثرة « معاوية » ، وابنه وأهله بالفيء ، وسألها مسألته :

أن يبايعه زوجها : عبد الله بن عمر .

فلما قدمت عشاءه ، ذكرت له أمر « ابن الزبير » ، واجتهاده ، وأثنت عليه وقالت :

ما يدعو إلا إلى طاعة الله ، عز وجل ، وأكثرت القول فى ذلك ؛

فقال لها : أما رأيت بغلات « معاوية » اللواتى كان يحج عليهن الشهب ؟ فإن « ابن الزبير » ما يريد غيرهن . ا .هـ

بغلات « معاوية » الشهب ، المحلاة بالسروج المذهبة — وهى رمز الدنيا ، والغنى ، والجاه ، والسلطان .. إنها هى مطمح المتطلعين للإمامة ، وهى أصل النزاع ، وأساس الداء ، إنها الدنيا ، كما قلنا ، الأهواء .

أما « سعيد بن المسيب » مع أنه كان أشبه الناس بسيدنا عبد الله بن عمر ، ومع أنه — كما يقول « عبد الله الخزاعى » — كان لا يخاصم أحدًا ، ولو أراد إنسان رداءه رمى به إليه ، ومع أنه كان — كما يقول « ابن كثير » — من أزهد الناس فى فضول الدنيا ، والكلام

فيما لا يعنى ... مع ذلك ، ومع أنه لا شرَّ فيه مطلقًا لأحد ، فقد ضربه عامل « ابن الزبير » على المدينة ستين سوطًا .

لقد استعمل « ابن الزبير » « جابر بن الأسود » على المدينة ، ودعا « جابر » الناس إلى بيعة « ابن الزبير » ، وبايع من بايع ، وامتنع « سعيد » ، وكان سبب امتناعه هو ما ذكره عن قوله فى الرد على « جابر » :

« لا ، حتى يجتمع الناس » .

فأمر بضربه ستين سوطًا .

وكان « جابر » هذا قد تزوج الخامسة قبل أن تنتهى عدة الرابعة ، فلما أخذت السياط « سعيد بن المسيب » : صاح « بجابر » :

« والله ما ربعت على كتاب الله ، يقول الله تعالى :

﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾[1] !

وإنك تزوجت الخامسة قبل انقضاء عدة الرابعة !

ثم صاح به أيضًا ، والسياط تأخذه ، قائلاً :

« وما هى إلا ليال ، فاصنع ما بدالك ، فسوف يأتيك ما تكره » !

يقول « عبد الواحد بن عون » :

فما لبث إلا يسيرًا حتى قتل « ابن الزبير » .

---

(١) النساء : ٣ .

ويمكن هنا أن نتساءل : كيف تأتى « لسعيد » أن يؤكد :

وما هى إلا ليال ... سوف يأتيك ما تكره » .

وتحقق كلام « سعيد » .. إنها لا شك ... . كرامة ، وكم « لسعيد » من كرامات .

ولكن من الإنصاف أن نقول إن « ابن الزبير » لم يرض عما فعله عامله « بسعيد » ، وأنه حينما بلغه ذلك كتب إلى عامله يلومه ، ويقول :

ما لنا و « لسعيد » ، دعه .. !

(٣) امتحانه ومحنته :

كان « ابن الزبير » ينازع « يزيد ابن معاوية » فى الخلافة ، ماذا كانت النتيجة ؟

لقد جاءت جيوش الشام ، وجيوش الأمويين إلى المدينة ، وكانت موقعة الحرة الدامية ، المأساة التى ملأت القلوب فجيعة وأسى ، لقد انتصر جيش الأمويين بقيادة « مسلم بن عقبة » ، فلما انتصر لم يكن موقفه هو موقف الرسول الكريم حينما قال لأهل مكة :

« اذهبوا فأنتم الطلقاء » ..

لقد كان ، ﷺ ، أخا كريما حقا ، وابن أخ كريم ، وسما بنفسه عن الحقد والضغينة ، وعفا عن المشركين الذين أساءوا إليه طيلة سنين عدة ، وعذبوه ، وعذبوا أصحابه ، وأخرجوه هو وأتباعه مهاجرين إلى المدينة ، وما كانوا معه فى يوم من الأيام كرماء أو حلماء ، وتمثل فيه بهذا الموقف العظيم – وكل مواقفه عظيمة – قول الله تعالى :

﴿وإنك لعَلى خُلق عظيم﴾[1] .

وتمثل فيه قوله سبحانه :

---

(١) القلم : ٤ .

﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾[1] .

أما « مسلم بن عقبة » فإنه حينما انتصر على « ابن الزبير » ، فإنه لم يدخل المدينة مطأطىء الرأس سائرًا قدمًا إلى المسجد الشريف، ليصلى ركعتين شكرًا لله تعالى ، وإنما دخلها فرعونى المظهر ، دخلها فى كبرياء ، وخيلاء ، وقسوة ، وأنهبها لجيشه ثلاثة أيام !! !

مدينة رسول الله ، ﷺ ، ينهبها لجيشه ثلاثة أيام !! ! وفيها ضريحه الشريف ، وفيها آثاره ، ﷺ ، وفيها بعض الصحابة ، وفيها نسمات من صدر الإسلام ، إنها السيرة العطرة للمهاجرين والأنصار ، الذين آزروا رسول الله ، ﷺ ، وعززوه ونصروه ، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، واستشهد الكثير منهم فى سبيله ، ومن بقى كان يتمنى الشهادة .

المدينة ... إنه أنهبها ثلاثة أيام لجيشه .

ثم ماذا ؟ إنه فى قسوته البالغة بدأ يأخذ البيعة ليزيد بأسلوب، لا إنسانية فيه ، ولا رحمة ولا إسلام .

قال « مصعب الزبيرى » : كان « مسلم بن عقبة » بعد ما أوقع بأهل المدينة يوم الحرة فى إمرة « يزيد بن معاوية » ، وأنهبها ثلاثًا ، أتى بقوم من أهل المدينة .

فكان أول من قدم إليه « محمد بن أبى الجهم » فقال له :

---

(١) الأنبياء : ١٠٧ .

بايع أمير المؤمنين « يزيد » ، على أنك عبد قنّ ، إن شاء أعتقك وإن شاء استرقك .

فقال له محمد : بل أبايع على أنى ابن عم ، كريم ، حر .

فقال : اضربوا عنقه ، فقتل .

ثم قدم إليه « يزيد بن عبد الله بن زمعة » فقال له مثل ذلك ، فأجابه مثل جواب « محمد » ، فقدمه فقتله .

ثم قدم إليه « سعيد بن المسيب » فقال له : بايع أمير المؤمنين على أنك عبد قنّ ، فإن شاء أعتقك ، وإن شاء استرقك .

فقال « سعيد » : لا أبايع عبدًا ولا حرًا .

فقال « مسلم » : مجنون والله .

فخنقه الشرطيان اللذان أتيا به حتى ثقل فى أيديهما ، فظنا أنه قد مات ، فأرسلاه ، فسقط ، ثم أفاق ، فقال : لا والله ، لا والله .

فتقدم إليه « مروان بن الحكم » ، و « عمرو بن عثمان » ، فشهدا أنه مجنون ، فقال : لقد ظننت ذلك ، أرسلاه .

فانصرف راجعًا إلى المدينة ، فلحقه « مروان » ، و « عمرو بن عثمان » فقالا له : « الحمد لله الذى سلمك يا أبا محمد » .

فقال : اذهبا ، ويحكما ، أتشهدان بالزور وأنا أسمع ، وتنفسان علىّ الشهادة ؟ والله لا أكلمكما أبدًا .

هذا هو موقف « سعيد » من الفتنة الثانية أو الامتحان الثانى الذى واجهه بالنسبة للخلافة ، ولكن ماذا كان يصنع « سعيد » فى أيام الحرة ؟
لقد لازم المسجد ، كان يلازم المسجد من قبل الفجر إلى ما بعد

العشاء ، روى عن « ابن حازم » قال : « سمعت » سعيد بن المسيب يقول : « لقد رأيتنى ليالى الحرة ، وما فى المسجد أحد من خلق الله غيرى ، وإن أهل الشام ليدخلون زمرًا زمرًا ، يقولون : انظروا إلى هذا الشيخ المجنون ، وما يأتى وقت صلاة إلا سمعت أذانًا من القبر ، ثم تقدمت ، فأقمت ، فصليت ، وما فى المسجد غيرى » .

وهذه كرامة أخرى للإمام « سعيد » ، بل يمكن أن نقول كرامات ، فقد حفظه الله فى هذا الجو الذى ليس فيه إلا سفك الدماء وقطع الرؤوس ، وما كان يأتى وقت الصلاة إلا ويسمع آذانًا[1]

---

(١) يقول صاحب تحقيق النصرة بتلخيص معالم دار الهجرة :

حكى يحيى وابن النجار : أن الآذان فى المسجد ترك فى أيام الحرة ثلاثة أيام ، وخرج الناس ، و « سعيد بن المسيب » فى المسجد ، وقال « سعيد » :

استوحشت فدنوت إلى القبر(أى قبر رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .) ، فلما حضرت الظهر سمعت الآذان فى القبر ، فصليت ركعتين ، ثم سمعت الإقامة فصليت الظهر ، ثم مضى ذلك الأذان والإقامة فى القبر لكل صلاة حتى مضت الثلاث ليال ، ورجع الناس وعاد المؤذنون ، فسمعت آذانهم ، فما سمعت الآذان فى قبر النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فرجعت إلى مجلسى الذى كنت فيه :

فإن قيل : كيف يحجون ويلبون ، ويصلون ، وهم أموات فى الدار الآخرة ، وليست دار عمل ؟

فالجواب : أنهم كالشهداء بل أفضل منهم ، والشهداء أحياء عند ربهم ، فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا .

ونقول : إن البرزخ ينسحب عليه حكم الدنيا فى استكثارهم من الأعمال وزيادة الأجور ، وإن المنقطع فى الآخرة إنما هو التكليف ، وقد تحصل الأعمال من غير تكليف على سبيل التلذذ بها ، ولهذا إنهم يسبحون ويقرءون القرآن ، ومن هذا سجود النبى ، صلى الله عليه وسلم ، وقت الشفاعة ، وثبوت الحياة للشهيد بقوله تعالى : ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتًا بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ (آل عمران : ١٦٩ .) .

فالشهداء أحياء حقيقة عند جمهور العلماء » . ا هـ .

من الضريح الشريف ، فيقيم الصلاة ، ويصلى ، وما فى المسجد غيره ... وهذه كرامة أخرى .

لقد أساء بنو أمية إلى « سعيد » ، فماذا كان من « سعيد » بالنسبة لهم ؟

روى عن « أبى بكر بن عبد الله » ، قال :

« كان سعيد بن المسيب » إذا سئل عن هؤلاء القوم ، قال : أقول فيهم ما قولنى ربى :

﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل فى قلوبنا غلاً للذين آمنوا ، ربنا إنك رءوف رحيم﴾[1] .

ومرة أخرى قيل « لسعيد بن المسيب » :

ادع على بنى أمية ، فقال :

« اللّهم أعز دينك ، وأظهر أولياءك ، واخز أعداءك ، فى عافية لأمة محمد ، ﷺ » .

ولكن ، ولكن تولى أمر المدينة « عمر بن عبد العزيز » ، صاحب السيرة العطرة : لعدله وتقواه ، فكانت بينه وبين « سعيد » مودة متبادلة وتقدير عظيم متبادل : وهكذا الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .

وما كان « سعيد » يأنف أن يذهب إلى « عمر بن عبد العزيز » ،

---

(١) الحشر : ١٠ .

ولكن « عمر بن عبد العزيز » كان يجله ، بحيث لا يكلفه المجيء إليه .

كان « سعيد » يمثل العالم الورع العفّ ، المتواضع لأهل الصلاح والتقوى ، وكان « عمر بن عبد العزيز » يمثل الحاكم الذى يعرف للعلماء المخلصين مكانتهم الكريمة .

وانظر إلى احترام « عمر » « لسعيد » :

عن « مالك ابن أنس » ، قال :

كان « عمر بن عبد العزيز » لا يقضى بقضاء حتى يسأل « سعيد ابن المسيب » كما ذكره « ابن سعد » ، فأرسل إليه إنسانًا يسأله ، فدعاه ، فجاءه حتى دخل عليه .

فقال « عمر » : أخطأ الرسول ، إنما أرسلناه يسألك فى مجلسك .

وعن « مالك بن أنس » ، قال : كان « عمر بن عبد العزيز » يقول : ما كان بالمدينة ، عالم إلا يأتينى بعلمه ، وأُوتى بما عند « سعيد بن المسيب » .

كان « سعيد » لا يأتى أحدًا من الخلفاء ، ولكنه كان يأتى « عمر بن عبد العزيز » وهو بالمدينة .

ولقد كان تقدير « سعيد » لعمر عظيمًا ، وانظر إلى القصة التالية :

روى عن « عبد الجبار بن أبى معن » ، قال : سمعت « سعيد ابن المسيب » ، وسأله رجل فقال له :

يا أبا محمد : من المهدى ؟ فقال له « سعيد » : أدخلت دار « مروان » ؟

قال : لا ، قال : فادخل دار « مروان » – دار الإمارة – تر المهدى .

قال : فَأَذِنَ عمر بن عبد العزيز للناس ، فانطلق الرجل حتى دخل دار « مروان » ، فرأى الأمير وأناسا مجتمعين ، ثم رجع إلى « سعيد بن المسيب » ، فقال : يا أبا محمد : دخلت دار « مروان » ، فلم أر أحدًا يقول هذا المهدى .

فقال له « سعيد بن المسيب » : هل رأيت الأشج : « عمر بن عبد العزيز » القاعد على السرير ؟

قال : نعم .

قال : فهو المهدى[1] .

هذا هو موقف عمر بن عبد العزيز : موقف كريم من رجل مؤمن ، وهذا هو امتحانه الثانى ومحنته الثانية ، اجتازهما فى صلابة الواثق فى الله ، الذى لا يخشى إلا هو .

---

(١) والمعروف من سياق هذه القصة أن الرجل كان يسأل عن المهدى بالمعنى الذى ورد فى بعض الآثار عن ظهور كائن يهدى الناس إلى الحق ، ويقودهم إلى طريق الله ، وكان الامام « سعيد » يقصد الرجل العادل ، الذى هداه الله ووفقه لصالح الأعمال .

(٤) امتحانه ومحنته :

أما الامتحان الثالث : فإنه كان أيضًا بسبب الخلافة ، وكم حدث عن الخلافة من مآسى ومن أحداث .

قال « ابن قتيبة » :

أجمع « عبد الملك بن مروان » على بيعة « الوليد » ، ثم من بعد « الوليد » « سليمان » ، فكتب إلى « الحجاج » ببيعة « الوليد ، وسليمان » ، فبايع الحجاج لهما بالعراق ، فلم يختلف عليه أحد ، وبويع لهما بالشام ومصر واليمن ، وكتب « عبد الملك » إلى « هشام بن إسماعيل » ، وهو عامله على المدينة ، أن يأخذ بيعة أهل المدينة .

فلما أتت البيعة لهما ، كره « سعيد بن المسيب » ذلك ، وقال :

لم أكن لأبايع بيعتين فى الإسلام ، بعد حديث سمعته عن رسول الله ، ﷺ ، أنه قال :

« إذا كانتا بيعتين فى الإسلام فاقتلوا الأحدث منهما » . ا .هـ .

ماذا كان من أمر الوالى : هشام بن إسماعيل ؟

عن يحيى بن « سعيد » ، قال : كتب والى المدينة إلى عبد الملك ابن مروان أن أهل المدينة قد أطبقوا على البيعة « للوليد وسليمان » إلا « سعيد بن المسيب » .

فكتب ، أن اعرضه على السيف ، فإن مضى ، وإلا فاجلده خمسين جلدة ، وطف به أسواق المدينة .

فلما قدم الكتاب على الوالى دخل « سليمان بن يسار » و « عروة ابن الزبير » و « سالم بن عبد الله على « سعيد بن المسيب » فقالوا :

إنا قد جئناك فى أمر ، قد قدم فيك كتاب من « عبد الملك ابن مروان » ، إن لم تبايع ضربت عنقك ، ونحن نعرض عليك خصالا ثلاثة ، فأعطنا إحداهن ، فإن الوالى قد قبل منك أن يقرأ عليك الكتاب ، فلا تقل لا ، ولا نعم .

قال : فيقول الناس بايع « سعيد بن المسيب » ، ما أنا بفاعل .

قال : وكان إذا قال : لا — لم يطيقوا عليه أن يقول : نعم .

قال : مضت واحدة ، وبقيت اثنتان .

قالوا : فتجلس فى بيتك ، فلا تخرج إلى الصلاة أيامًا ، فإنه يقبل منك إذا طلبت فى مجلسك فلم يجدك .

قال : وأنا أسمع الآذان فوق أذنى « حىّ على الصلاة » ، « حىّ على الفلاح » ، ما أنا بفاعل .

قال : مضت اثنتان ، وبقيت واحدة ، قالوا :

فانتقل من مجلسك إلى غيره ، فإنه يرسل إلى مجلسك ، فإن لم يجدك أمسك عنك .

قال : فرقا لمخلوق !! ما أنا بمتقدم لذلك شبرًا ولا متأخر شبرًا .

فخرجوا ، وخرج إلى الصلاة – صلاة الظهر – فجلس فى مجلسه الذى كان يجلس فيه .

فلما صلى الوالى بعث إليه فأتى به ، فقال :

إن أمير المؤمنين كتب يأمرنا إن لم تبايع ضربنا عنقك .

قال : نهى رسول الله ، ﷺ ، عن بيعتين .

فلما رآه لا يجيب أخرج إلى السّدة ، فمدت عنقه ، وسلّت عليه السيوف ، فلما رآه قد مضى ، أمر به فجرد ، فإذا عليه تبّان شعر[1] ، فقال :

لو علمت أنى لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبان ، فضربه خمسين سوطًا ، ثم طاف به أسواق المدينة ، ثم أوقفه فى الشمس .

وهنا موقف رائع حقًّا ، فإنه حينما أوقفه فى الشمس لم يشعر « سعيد » بضيق أو اضطراب أو قلق ، وإنما كان متماسكًا متزنًا هادئًا ، وهاك حادثة طريفة ترى منها كيف كانت حالته النفسية وهو واقف فى الشمس .

حدث « أبو عوانة » عن « قتادة » قال : أتيت « سعيد بن المسيب » ، وقد ألبس تبان شعر وأقيم فى الشمس ، فقلت لقائدى : ادننى منه ، فأدنانى منه ، فجعلت أسأله ، خوفًا من أن يفوتنى وهو يجيبنى حسبة والناس يتعجبون .

(١) تبان : سروال قصير يستر العورة .

إنه موقف يذكرنا بموقف « سقراط » وهو فى السجن ، وقد حكم عليه بالقتل ، ومع ذلك فإن تلاميذه - ومنهم « أفلاطون » - كانوا يحضرون إليه فى سجنه فيدرس لهم ، كما كان يفعل وهو طليق : هادئًا مطمئنًا .

ماذا كان بعد ذلك من أمر الإمام سعيد .

لقد رده والى المدينة إلى السجن ، وأرسلت له ابنته بطعام طيب شهى كثير ، وذلك بعامل الشفقة ، وبعامل الحب ، فقال « سعيد » لمن حمل إليه الطعام :

اذهب إلى ابنتى فقل لها : لا تعود إلى هذا أبدًا .

فهذه حاجة « هشام بن إسماعيل » ، يريد أن يذهب مالى ، فأحتاج إلى ما فى أيديهم ، وأنا لا أدرى ما أُحبَس ، فانظرى إلى القوت الذى كنت آكل فى بيتى ، فابعثى إلىّ به ، فكانت تبعث إليه بذلك ، لا تزيد عليه .

ومرة أخرى دخل عليه السجن « أبو بكر بن عبد الرحمن » ، فجعل يكلم « سعيدًا » ويقول :

إنك لم ترفق به فى حديثك ؛ فقال : يا أبا بكر ، اتق الله وآثره على ما سواه ؛ قال :

فجعل « أبو بكر » يردد عليه : إنك خرقت ، ولم ترفق فى الحديث ، فجعل « سعيد » يقول :

إنك والله أعمى البصر ، أعمى القلب ، قال : فخرج « أبو بكر » من عنده ، وأرسل إليه « هشام بن إسماعيل » ، فقال :

هل لانَ « سعيد » منذ ضربناه ؟ فقال « أبو بكر » : والله ما كان أشد لسانًا منه منذ فعلت به ما فعلت ، فاكفف عن الرجل .

وتحير « هشام بن إسماعيل » حيرة كبيرة : إنه بصدد رجل تقى صالح ، يستمسك برأيه ولا يحيد عنه ، يتشبث بالحق ولا يلين ، وهو من جهة أخرى قد جاءه الأمر من الخليفة بأخذ البيعة ، ولابد له من ذلك ؛ ماذا يفعل ؟ لم يجد مناصًا من أن يكتب للخليفة من جديد ، فماذا حدث ؟

عن « المسور بن رفاعة » ، قال :

دخل « قبيصة بن ذؤيب » على « عبد الملك بن مروان » بكتاب « هشام بن إسماعيل » ، يذكر أنه ضرب « سعيدًا » وطاف به .

قال « قبيصة » : يا أمير المؤمنين ، يفتات عليك « هشام » بمثل هذا ؟ يضرب « ابن المسيب » ويطوف به ؟ والله لا يكون « سعيد » أبدًا أمحل ولا ألج منه حين يضرب ، « سعيد » ، لو لم يبايع ما كان يكون منه ؟ ما « سعيد » ممن يخاف فِتَنَه ، ولا غوائله على الإسلام وأهله ، وإنه لمن أهل الجماعة والسنة .

وقال « قبيصة » : اكتب إليه يا أمير المؤمنين فى ذلك .

فقال « عبد الملك » اكتب أنت إليه عنك فخبره برأيى فيه ، وما خالفنى من ضرب « هشام » إياه .

فكتب « قبيصة » إلى « سعيد » بذلك .

فقال « سعيد » حين قرأ الكتاب : الله بينى وبين من ظلمنى .

وندم « هشام بن إسماعيل » على ما صنع « بسعيد » فخلى سبيله .

لقد خلى سبيله ولكن نهى عن مجالسته ، وكان « سعيد » يعلن ذلك لكل من جلس إليه ، حتى لا يساء إلى من جالسه .

عن « عبد الله بن القاسم » ، قال : جلست إلى « سعيد بن المسيب » فقال : إنه قد نُهى عن مجالستى ، قال : قلت إنى رجل غريب .

قال : إنما أحببت أن أعلمك .

وحدث « العلاء بن عبد الكريم » ، قال : جلست إلى « سعيد بن المسيب » فقال :

أنه قد نُهى عن مجالستى .

وحدث « همام » عن قتادة عن « سعيد بن المسيب » : أنه كان إذا أراد الرجل أن يجالسه قال :

إنهم قد جلدونى ، ومنعوا الناس أن يجالسونى .

أما فى نهاية هذه المأساة ، فإنه لا يسعنا إلا أن نسجل للإمام « سعيد » هذا الموقف الذى يتسم بالنبل والشهامة .

لقد نكل « هشام بن إسماعيل » بالإمام تنكيلاً كثيرًا ، وكان يسعه باعتباره واليًا أن يتصرف تصرفًا غير ذلك : لقد ضربه ، وطاف به فى السوق ، وسجنه .

ودارت الأيام دورتها ، والأيام دول .

لقد غضب « الوليد بن عبد الملك » على « هشام بن إسماعيل » ، وولى إمرة المدينة « عمر بن عبد العزيز » وكتب إليه أمرًا صريحًا :

أن يوقف « هشام بن إسماعيل للناس ، فمن كانت عليه مظلمة أخذه بها » .

ماذا كان موقف الإمام ؟ وما تنتظر منه ؟
لقد قال لابنه ومواليه :
لا يعرض أحد منكم لهذا الرجل فيّ ؛
تركت ذلك لله ، وللرحم .

أما قوله « للرحم » ، فإن « هشام » كان ابن عم « سعيد » ، وإذا كان « هشام » لم يرع للرحم حرمة فإن ذلك ما كان يتأتى أن يغرب عن شعور سعيد .

وانتهت هذه الفتن ، وهدأ « سعيد » .

لم يفتن « سعيدًا » فى أيام « الحجاج » ، وقد عجب الناس لذلك وسألوا « سعيدًا » نفسه :

ما شأن « الحجاج » لا يبعث إليك ، ولا يهيجك ولا يؤذيك ؟
قال : والله ما أدرى ، غير أنه صلى ذات يوم مع أبيه صلاة ، فجعل لا يتم ركوعها ولا سجودها ، فأخذت كفا من حصباء فحصبته بها .
قال « الحجاج » : فمازلت أحسن الصلاة .

وبعد : ففى نهاية الحديث عن محنة سعيد وامتحانه ، لا يسعنا إلا أن نُذَكِّر بشعار من شعارات الدعاة ، أعلنه القرآن الكريم مبدأ لكل داع :

يقول تعالى : ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحدا إلا الله ، وكفى بالله حسيبا﴾[1] .

---

(١) الأحزاب : ٣٩ .

الفصل الرابع

سعيد بن المسيب

(١) المحدث :

كان علماء السنة يعرفون بسيماهم ، فقد كانوا من الزهد فى حطام الدنيا بحيث لا ينازعون الناس فى دنياهم :

لقد كانوا مشغولين عن جمع المال بخدمة الدين ، وكانوا مشغولين عن الجاه بغرس الخلق الصالح الكريم ، وكانوا مشغولين عن السلطان بمن بيده السلطان يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء : مالك الملك ذى الجلال والإكرام .

وكانوا صادقين : لقد كان الصدق دينهم وفطرتهم .

وكانوا صابرين على الحياة ، وصابرين على العمل .

لقد أقاموا نهارهم ، وأسهروا ليلهم ، عملاً على مرضاة الله ورسوله ﷺ .

وإن كل من أشرِبت نفوسهم حب السنة أمثلة كريمة للخلق الكريم .

والأمثلة الكريمة للخلق الكريم هدف - دائمًا - لسهام النماذج الأثيمة التى استهواها الشيطان فى قليل أو فى كثير . إنه النزاع الدائم بين الفضيلة وأصحابها ، وبين الممثلين لنزعات الهوى والضلال .

ولولا وجود هذه المثل العليا لمكارم الأخلاق فى كل عصر لفقدت الإنسانية الثقة بنفسها ، ولما اطمأن إنسان لإنسان ، ولما وثق شخص بآخر .

لقد ربّت السنة رجالاً ، وخصائصها التى ربّت بها الرجال موجودة فيها ، لأنها من طبيعتها ومن ذاتها .

ولقد شهدت الإنسانية واعترفت بسمو هؤلاء الرجال ، وأولتهم ثقتها وتقديرها .

وكان « سعيد بن المسيب » من هؤلاء الذين ربتهم السنة فأشربوا حب الاقتداء برسول الله ، ﷺ .

ولقد استكمل العناصر التى يجب أن تكون فى المحدث ، وهى .

(أ) قوة الذاكرة :

عن « عمران بن عبد الله قال : سألنى « سعيد بن المسيب » فانتسبت له ، فقال : لقد جلس أبوك إلى فى خلافة « معاوية » ، فسألنى عن كذا وكذا ، فقلت له : كذا وكذا .. ولذلك كان « عمران » يقول : « والله ما أراه مر على أذنه شىء قط إلا وعاه قلبه » ..

(ب) الاهتمام البالغ بالحديث :

عن « مالك بن أنس » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » قال :

« إن كنت لأسير الليالى والأيام فى طلب الحديث الواحد » .

(جـ) احترام الحديث :

عن « محمد بن سعيد بن المسيب » قال :

دخل « المطلب بن حنطب على سعيد بن المسيب » فى مرضه وهو مضطجع ، فسأله عن حديث فقال : اقعدونى فأقعدوه ..

فقال الرجل : وددت أنك لم تتعنّ ..

فقال : « إنى أكره أن أحدث حديث رسول الله ، ﷺ ، وأنا مضطجع » .

(د) أن يكون ثقة صدوقًا :

قال « أبو طالب » : قلت « لأحمد » : « سعيد بن المسيب » ؟ فقال : ومن مثل « سَعيد » ؟ .. ثقة من أهل الخير .

وقال « أبو زرعة » : كان مدنيًّا ، ثقة ، إمامًا .

وقال « أبو حاتم » : ليس فى التابعين أنبل منه ، وهو أثبتهم فى « أبى هريرة » .

وروى « الربيع » عن « الشافعى » أنه قال :

« إرسال « سعيد بن المسيب » عندنا حسن » .

« والحديث المرسل هو الحديث الذى يرويه التابعى عن رسول الله ، ﷺ ، دون أن يذكر الصحابى الذى أخذ عنه ، أو سمع منه » .

وقال « الإمام أحمد بن حنبل » : هى صحاح ، « وسعيد بن المسيب » أفضل التابعين .

وقال « على بن المدينى » : لا أعلم فى التابعين أوسع علمًا منه ،

وإذا قال سعيد : مضت السنة ، فحسبك به ، وهو عندى من أجلّ التابعين .

وقال « ابن حجر » : اتفقوا على أن مرسلاته أصح المراسيل .

وروى عن « على بن الحسين » قال :

« سعيد بن المسيب » أعلم الناس فيما تقدم من الآثار ، وأفقههم فى رأيه .

(هـ) أن يكون شيوخه الذين يروى عنهم ثقات :

وقد كان شيوخ « سعيد » الصحابة ، بل وكبار الصحابة . لقد أدرك طائفة من أجلاء الصحابة ، وطائفة من العشرة المبشرين بالجنة ، وطائفة من زوجات الرسول ، ﷺ ، وقد كان يأخذ فى استفاضة عن « أبى هريرة » ، رضى الله عنه ، وعن « ابن عمر » رضى الله عنهما .

ونذكر هنا ما رواه كتاب حلية الأولياء عنه ، يقول صاحب الحلية :

ومن مسانيد حديثه :

حدثنا « أبو بكر بن خلاد » ، قال : حدثنا الحارث بن أبى أسامة قال : حدثنا عبد لوهاب بن عطاء قال : حدثنا داود بن أبى هند عن « سعيد بن المسيب » قال :

قال « عمر بن الخطاب » ، رضى الله تعالى عنه ، على هذا المنبر – يعنى منبر المدينة – : إنى أعلم أن أقوامًا سيُكذِّبون بالرجم ،

ويقولون ليس فى القرآن ، ولولا أنى أكره أن أزيد فى القرآن لكتبت في آخر ورقة أن رسول الله ، ﷺ ، قد رجم ، ورجم « أبو بكر » ، وأنا رجمت ، رواه « يحيى بن سعيد » عن « سعيد » مثله .

حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا عبد الرحمن قال : حدثنا « يزيد بن هارون » ، أخبرنا يحيى بن سعيد أنه سمع « سعيد بن المسيب » يذكر أن عمر قال :

إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم – فذكرتموه .

حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا الحسن بن منصورالرمانى قال :

حدثنا المعافى بن سليمان قال : حدثنا حكيم بن نافع عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » عن « عمر بن الخطاب » رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ، ﷺ :

« أول ما يرفع من الأمة الأمانة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مُصَلٍّ لا خير فيه » .

حدثنا أبو بكر بن مالك ، قال : حدثنا عبد الله ابن حنبل . قال : حدثنا يعقوب ابن حميد بن كاسب قال : حدثنا عبد الله بن عبد الله الأموى قال :

حدثنا الحسن بن الحر قال : سمعت « يعقوب بن عتبة بن الأخنس » يقول : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : سمعت « عمر بن الخطاب » يقول : سمعت رسول الله ، ﷺ يقول :

« من اعتز بالعبيد أذله الله » .

حدثنا مُحمد بن عمر ، قال : حدثنا محمود بن المروزى قال : حدثنا أحمد بن يعقوب قال : حدثنا الوليد بن سلمة عن « يونس ابن يزيد » عن « ابن شهاب الزهرى » عن « أحمد » عن « سعيد بن المسيب » عن « عثمان بن عفان » : أن النبى ، ﷺ قال :

« إذا سمعتم النداء فقوموا ، فإنها عزمة من الله » .

حدثنا أبو بكر الطلحى ، قال حدثنا أبو حصين محمد بن الحسن الوادعى ، قال : حدثنا يحيى الحمانى ، قال : حدثنا قيس – يعنى « ابن الربيع » – عن « عبد الله بن عمران » عن « على بن زيد » عن « سعيد بن المسيب » عن « على بن أبى طالب » رضى الله تعالى عنه أنه قال لفاطمة ، رضى الله تعالى عنها :

ما خير النساء ؟ قالت : « أن لا يرين الرجال ولا يرونهن » فذكره للنبى ، ﷺ ، فقال :

« إنما فاطمة بضعة منى » !

حدثنا محمد بن عمر بن سالم قال : حدثنا سعيد بن على بن الخليل » قال : حدثنا إسحق بن العنبر ، قال : حدثنا نصر بن ثابت » عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » عن « على بن أبى طالب » ، رضى الله تعالى عنه ، قال : قال النبى ، ﷺ :

« من اتقى الله عاش قويًا ، وسار فى بلاده آمنا » .

حدثنا محمد بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال : حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا سفيان بن حسين عن « الزهرى » عن

« سعيد بن المسيب » عن « أبى هريرة » قال : قال رسول الله ، ﷺ ، « من أدخل فرسًا بين فرسين وهو لا يأمن أن يسبق فهو قمار » .

حدثنا حبيب بن الحسن ، قال : حدثنا محمد بن بكر بن حيان ، قال : حدثنا عمر بن الحصين ، قال : حدثنا إبراهيم بن عطاء ، عن « يزيد بن عياض » عن « الزهرى » عن « سعيد بن المسيب » عن « عمار بن ياسر » قال : قال النبى ، ﷺ :

« حسن الخلق خلق الله الأعظم » .

حدثنا سليمان بن أحمد ، قال : حدثنا أحمد بن داود « المكى » قال : حدثنا حبيب كاتب « مالك » ، قال : حدثنا ابن أخى الزهرى ، عن « الزهرى » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبى بن كعب » ، قال :

قال رسول الله ، ﷺ :

« قال لى جبريل ، ليبك الإسلام على موت عمر ، رضى الله تعالى عنه » .

حدثنا أبو بحر محمد بن الحسن قال : حدثنا أحمد بن إسحاق الخشاب الرقى ، قال : حدثنا زريق أبو القاسم الحمصى ، قال :

حدثنا الحكم بن عبد الله الأيلى ، قال : حدثنا الزهرى عن « سعيد بن المسيب » ، عن « عائشة » ، رضى الله تعالى عنها ، أن رسول الله ، ﷺ قال :

« إن لكل شىء شرفًا يتباهون به ، وإن بهاء أمتى وشرفها القرآن » .

(٢) الفقيــه :

وأظهر نواحي « سعيد بن المسيب » العلمية هى : الفقه .

وكان من عاداته الجميلة : أنه ما كان يفتى فتيا . أو يقوْل شيئًا إلاَّ قال : « اللهمّ سلمنى ، وسلم مِنِىّ » .

وفقهه بناه على أساسٍ من الحديث ، إنه لم يكن من أهل الرأى ، وإنما كان من أهل الأثر ، والواقع أن الفرق بين أهل الرأى وأهل الأثر ليس فرقًا كبيرًا ، فكل منهم يعتمد أولاً وقبل كل شىء على الأثر ، وكل منهم يقول : « إذا صح الحديث فهو مذهبى » .

ولا يختلف موقفهم فى أن الأساس ، إنما هو القرآن والسنة ، وكل ما بينها من فرق أن أهل الرأى يستعملون القياس أكثر من أهل الأثر ، ولكنهم جميعا – تجاه الحديث الصحيح – لا موقف لهم إلاَّ التسليم .

كان « سعيد بن المسّيب » من أهل الأثر ، وأهل الأثر يعنَوْن عنايةَ بالغةً بالحديث ، ومن هنا كان « سعيد بن المسيب » مُحدّثا ، وفقيها .

وكان فقهه معنيًّا عناية خاصة بآثار رسول الله ، ﷺ ، فى القضاء وآثار كبار صحابته .

روى عن « مسعر بن كدام » عن « سعد بن إبراهيم » ، عن « سعيد بن المسّيب » ، قال :

« ما بقى أحد أعلم بكل قضاء قضاه رسول الله ﷺ ، وأبو بكر ، وعمر، منى» ، قال « مسعر » وأحسب قد قال « وعثمان ، ومعاوية » .

ويروى « ابن سعد » فى طبقاته .

عن « ليث بن سعد » ، « ومالك بن أنس » ، عن « يحيى بن سعيد » قال : كان يُقال « ابن المسّيب » راوية « عمر » قال « ليث » : لأنه كان أحفظ الناس لأحكامه وأقضيته .

ويجمع « مكحول » « وقتادة » « والزهرى » وغيرهم قائلين : ما رأينا أعلم من « ابن المسيب » ، وإذا كان هذا إجماعهم فإننا نذكر شيئًا من تفصيلهم فى ذلك :

ويتحدث « مكحول » عن « سعيد بن المسيب » أكثر من مرّة ، إنه يقول مثلا :

« سعيد بن المسيب » : عالم العلماء .

وعن « إسماعيل بن أمية » ، قال : قال « مكحول » : ما حدثتكم به فهو عن « ابن المسيب » « والشعبى » .

وعن « سعيد بن عبد العزيز التنوخى » ، قال : سألت « مكحولاً » مَن أعلم مَن لقيت ؟ قال : « ابن المسيب » .

ويتحدث صاحب الشذرات عن « سعيد بن المسيب » ويروى عن « قتادة » كلمة تتصل « بسعيد » و « الحسن البصرى » ، ومنزلة « الحسن البصرى » ومكانته السامية بين التابعين معروفة ، يقول « قتادة » :

« ما جمعت علم « الحسن » إلى علم أحد إلا وجدت له عليه فضلاً ، غير أنه كان إذا أشكل عليه شيء كتب إلى « ابن المسيب » يسأله » .

أمَّا عن الحلال والحرام فيقول « قتادة » :

ما رأيت أحدًا قط أعلم بحلال الله وحرامه من « سعيد بن المسيب » .

وقال « الزهرى » : كان يقال : « ليس أحد أعلم بكل ما قضى به « عمر » « وعثمان » منه » .

وقال « الزهرى » : « جالسته سبع حجج ، وأنا لا أظن أن أحدًا عنده علم غيره » ، وروى عن « الأوزاعى » قال سئل « مكحول » و « الزهرى » : مَنْ أفقه من أدركتما ؟ فقالا : « سعيد بن المسيب » .

وقال « على بن المدينى » لا أعلم فى التابعين أوسع علمًا منه ، وهو عندى أجلُ التابعين .

ويقول صاحب البداية والنهاية بإسناده :

قال ابن « عمر » : كان « سعيد » أحد المتقنين .

وقال « محمد بن إسحاق » عن « مكحول » : قال طفت الأرض كلها فى طلب العلم ، فما لقيت أعلم من « سعيد بن المسيب » .

وبلغ من فقه « سعيد » أن « قدامة بن موسى الجمحى » قال : كان « سعيد بن المسيب » يفتى وأصحاب رسول الله ، ﷺ ، أحياء ،

هذا وقد سبق أن تحدثنا عن رأى « ابن عمر » فى « سعيد » .
وتحدثنا عن رأى الإمام « أحمد بن حنبل » فيه .
ونحب الآن أن نذكر رأى الإمام « مالك » .

(هو ومالك) :

روى عن « مالك » : أن « القاسم بن محمد » سأله رجل عن شىء فقال : أسألت أحدًا غيرى ؟ قال : « نعم ، « عروة » وفلانًا و « سعيد بن المسيب » . فقال : « أطع « ابن المسيب » ، فإنه سيدنا وعالمنا » .

قال : مالك : ما استوحش « سعيد بن المسيب » إلى أحد قط خالفه .

وصلة الإمام « مالك » « بسعيد بن المسيب » صلة وثيقة ، وذلك أن الإمام مالكًا كثيرًا ما يذكر فى كتابه النفيس « الموطأ » آراء « سعيد بن المسيب » فى المسائل التى يعرض لها ، وكتاب الموطأ من أنفس الكتب الفقهية ، وهو يسير فى الفقه على أسلوب موفق وذلك أنه يعتمد على الأحاديث الشريفة وآثار الصحابة والتابعين ، رضوان الله عليهم .

وتحتل آراء « سعيد » مكانًا لا بأس به من الموطأ .

ومن أجل بيان بعض آراء سعيد فى الفقه أخذت فى دراسة كتاب الموطأ لأستخرج منه آراء الإمام « سعيد » وأذكر رأى الإمام

« مالك » فقط فى الحالات التى يعلق فيها على كلام « سعيد » مؤيدًا أو مخالفًا أو شارحًا أو محددًا .

وقبل الأخذ فى ذلك نقول : يروى « ابن سعد » عن « عاصم » قال : سمعت سعيد بن المسيب يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم ، ويروى عن على « بن زيد » قال : كان « سعيد بن المسيب » يصلى التطوع فى رحله . (ص ٩٩) .

ويروى صاحب الحلية عن « ابن حرملة » قال : ما سمعت « سعيد ين المسيب » سبَّ أحدًا من الأئمة قط ، إلا أنى سمعته يقول : قاتل الله فلانًا ، كان أول من غير قضاء رسول الله ، ﷺ ، وقد قال النبى ، ﷺ :

« الولد للفراش وللعاهر الحجر » .

وأهل الأثر لا يعنون فقط بالسنة ، وإنما يعنون أيضًا وفى الدرجة الأولى بالقرآن ، وبخاصة آيات الأحكام فيه .

وقد كان « سعيد » معنيا بالقرآن عناية كبيرة .

يقول « ابن سعد » فى طبقاته ، بسنده : إن « سعيد بن المسيب » كان يقرأ القرآن بالليل على راحلته فيكثر ، وهذا فى السفر ، والأمر كان كذلك فى الإقامة .

ومن طرائف « سعيد » ، ما روى عن « يحيى بن سعيد » قال :

كان « سعيد بن المسيب » إذا مر بالمكتب ، قال للصبيان : « هؤلاء الناس بعدنا » .

وله فى التفسير نظرات مشرقة :

يروى صاحب الحلية عن « يحيى بن سعيد » عن أبيه ، أن « سعيد بن المسيب » قال فى تفسير قوله تعالى :

﴿إنه كان للأوابين غفورا﴾[1] .

« الذى يذنب ثم يتوب ، ثم يذنب ، ثم يتوب ، ولا يعود فى شىء قصدًا » .

بيد أن ما روى « عن سعيد » فى التفسير كان قليلاً ، ولعل من أسباب ذلك ، ما روى عن « يحيى بن سعيد » قال : « أدركت الناس يهابون الكتب ، ولو كنا نكتب يومئذ لكتبنا من علم « سعيد » ورأيه شيئًا كثيرًا .

ومع ذلك فقد روت كتب التفسير عن « سعيد » آراء كثيرة فى تفسير القرآن : ومن ذلك !

يقول « سعيد » فى قوله تعالى عن « يحيى » عليه السلام :

﴿وسيدًا وحصورًا ، ونبيا من الصالحين﴾[2] .

قال : « السيد » : « الفقيه العالم » ، الحصور : « الذى لا يغشى النساء » .

ويذكر صاحب رسالة فقه « سعيد بن المسيب » ما يلى :

---

(١) الإسراء : ٢٥ .

(٢) سورة آل عمران : الآية (٣٩) .

قوله تعالى : ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم﴾[1] .

قال « البغوى و « الخازن » . قال « سعيد بن المسيب » : « القلب السليم هو الصحيح ، وهو قلب المؤمن ، لأن قلب الكافر والمنافق مريض » .

قال تعالى : ﴿فى قلوبهم مرض﴾[2] .

وهذا كما ترى من تفسير القرآن بالقرآن[3] :

قوله تعالى ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا﴾[4] .

المراد بالطريقة : الإسلام ، كذا قال « سعيد بن المسيب »[5] .

قوله تعالى : ﴿ويمنعون الماعون﴾[6] .

روى « الطبرى » بسنده عن « سعيد بن المسيب » قال : « الماعون بلسان قريش : المال » وهذا تفسير لغوى بحت كما ترى[7] .

بيد أن « سعيد بن المسيب » كان فقيهًا أولاً وقبل كل شىء ، لقد كان أحد الفقهاء السبعة الذين اختلطوا بالصحابة فى المدينة

---

(١) سورة الشعراء : الآيتان (٨٨ — ٨٩) .
(٢) سورة البقرة آية (١٠) .
(٣) تفسير « البغوى » و « الخازن » ١٠٠/٥) .
(٤) سورة الجن آية (١٦) .
(٥) تفسير « ابن كثير » ٤٣١/٤ .
(٦) سورة الماعون آية (٧) .
(٧) تفسير « الطبرى » ٢٠٦/٣٠ « القرطبى » ٢١٤/٢٠) .

المنورة وتتلمذوا عليهم ، وأخذوا عنهم ، وكان « سعيد » رأس هؤلاء السبعة .

يقول « ابن سعد » فى طبقاته :

أخبرنا محمد بن عمر حدثنا عبد الرحمن بن أبى الزناد عن أبيه قال : كان السبعة الذين يسألون بالمدينة ، وينتهى إلى قولهم : « سعيد بن المسيب » و « أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام » و « عروة بن الزبير » و « عبيد الله بن عبد الله بن عتبة » و « القاسم بن محمد » و « خارجة بن زيد » و « سليمان بن يسار » .

وقد أحببت أن أساهم فى التعريف بفقهه ، وكنت من آن لآخر أقرأ فى موطأ الإمام « مالك » وفى هذه الطبعة الجميلة التى حققها ، وعلق عليها المرحوم الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى ، وكتاب الموطأ من الكتب المثالية فى الفقه وهو يتتبع دائمًا الحديث ، ويسير وراء الآثار ، ويروى من آن لآخر رأى « سعيد بن المسيب » أو خبرًا رواه « سعيد » يعبر عن رأيه .

وكان الإمام « مالك » ، رضى الله عنه ، يخالف رأى « سعيد » أحيانًا ، ويوافقه أحيانًا ، ويحدده أو يشرحه ، أو يبين ظروفه أحيانًا أخرى .

وبدأت من جديد ألتمس آراء « سعيد » فى الموطأ ، وإنى لأشكر الذين ساعدونى فى ذلك ، وسيرى القراء فيما يلى ، الآراء وأرقام صفحاتها فى هذه الطبعة الجميلة من « الموطأ » : طبعة الأستاذ فؤاد عبد الباقى .

عن « ابن شهاب » عن « سعيد بن المسيب » : أن رسول الله ، ﷺ قال : « من أكل من هذه الشجرة فلا يقرب مساجدنا ، يؤذينا بريح الثوم » . [ط جد ص ١٧] .

عن يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثى « أنه رأى سعيد بن المسيب رعف وهو يصلى ، فأتى حجرة « أم سلمة » زوج النبى ، ﷺ ، فأوتى بوضوء فتوضأ ، ثم رجع فبنى على ما قد صلى » .
[ط جـ ١ ص ٣٨] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى » ، أنه قال : رأيت « سعيد بن المسيب » يرعف ، فيخرج منه الدم ، حتى تختضب أصابعه من الدم الذى يخرج من أنفه ؛ ثم يصلى ، ولا يتوضأ » .
[ط جـ ١ ص ٣٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أن « سعيد بن المسيب » قال : ما ترون فيمن غلبه الدم من رعاف فلم ينقطع عنه ؟ قال مالك : قال « يحيى بن سعيد » .

ثم قال « سعيد بن المسيب » : « أرى أن يومىء برأسه إيماء » .

قال « يحيى » : قال « مالك » : وذلك أحب ما سمعت ، إلى فى ذلك » . [ط جـ ١ ص ٤٠] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ؛ أن « عمر بن الخطاب » و « عثمان بن عفان » و « عائشة » زوج النبى ، ﷺ ، كانوا يقولون : « إذا مس الختان الختان فقد وجب الغسل » .
[ط جـ ١ ص ٤٥] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « أبا موسى الأشعرى » أتى « عائشة » زوج النبى ، ﷺ ، فقال لها : لقد شق على اختلاف أصحاب النبى ، ﷺ ، فى أمر ، إنى لأُعْظِمُ أن استقبلك به .

فقالت : ما هو ؟ ما كنت سائلاً عنه أمك ، فسلنى عنه . فقال : « الرجل يصيب أهله ثم يكسل ولا يُنْزِل » ؟ فقالت : « إذا جاوز الختانُ الختانَ فقد وجب الغسل » . فقال « أبو موسى الأشعرى » : « لا أسأل عن هذا أحدًا بعدك أبدًا » .

[ط جـ ١ ص ٤٦] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة » ؛ أن رجلاً سأل « سعيد بن المسيب » عن الرجل الجنب ، يتيمم ثم يدرك الماء ، فقال « سعيد » : إذا أدرك الماء ، فعليه الغسل لما يستقبل » . [ط جـ ١ ص ٥٦] .

عن « مالك » عن « سُمَىّ » ، مولى « أبى بكر بن عبد الرحمن » ، « أن القعقاع بن حكيم » ، و « زيد بن أسلم أرسلاه إلى « سعيد بن المسيب » ، يسأله كيف تغتسل المستحاضة ؟ فقال : « تغتسل من طهر إلى طهر ، وتتوضأ لكل صلاة ، فإن غلبها الدم استثفرت » .

عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : « من صلى بأرض فلاة ، صلى عن يمينه ملك ، وعن شماله ملك ، فإذا أذن وأقام الصلاة أو أقام صلى وراءه من الملائكة أمثال الجبال » . [ط جـ ١ ص ٧٤] .

عن « ابن شهاب » عن « سعيد بن المسيب » و « وأبى سلمة ابن عبد الرحمن » ، أنهما أخبراه عن « أبى هريرة » ؛ أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « إذا أَمَّنَ الإمام فأمِّنوا ، فإنه من وافق تأمينهُ تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه » .

قال « ابن شهاب » : وكان رسول الله ، ﷺ ، يقول « آمين » .
[ط جـ ١ ص ٨٧] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « أبى سلمة بن عبد الرحمن » مثلَ ذلك .

قال « مالك » : كل سهو كان نقصاناً من الصلاة ، فإن سجوده قبل السلام ، وكل سهو كان زيادة فى الصلاة فإن سجوده بعد السلام . [ط جـ ١ ص ٩٥] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن رجلاً عطس يوم الجمعة والإمام يخطب ، فشمته إنسان إلى جنبه ، فسأل عن ذلك « سعيد بن المسيب » ، فنهاه عن ذلك ، وقال : « لا تعد » .
[ط جـ ١ ص ١٠٤] .

عن « مالك » ؛ أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول : « يكره النوم قبل العشاء ، والحديث بعدها » .
[ط جـ ١ ص ١١٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : كان « أبو بكر الصديق » ، إذا أراد أن يأتى فراشه أوتر ، وكان « عمر بن الخطاب » يوتر آخر الليل ، قال « سعيد بن المسيب » : فأما أنا ، فإذا جئت فراشى أوترت . [ط جـ ١ ص ١٢٤] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » عن « أبى هريرة » ، أن رسول الله ، ﷺ قال : « صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءًا » .

[ط جـ ١ ص ١٢٩] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى » ، عن « سعيد بن المسيب » أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « بيننا وبين المنافقين شهود العشاء والصبح لا يستطيعونهما » أو « نحو هذا » . [ط جـ ٢ ص ١٣٠] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أن رجلاً سأل « سعيد بن المسيب » فقال : « إنى أصلى فى بيتى ، ثم آتى المسجد ، فأجد الإمام يصلى ، فأصلى معه ، فقال « سعيد » : نعم ، فقال الرجل : فأيهما صلاتى ؟ فقال سعيد : أو أنت تجعلهما ؟ إنما ذلك إلى الله » .

[ط جـ ١ ص ١٣٣] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « عروة بن الزبير » ، و « سعيد بن المسيب » ، كان يصليان النافلة ، وهما محتبيان » .

[ط جـ ٢ ص ١٣٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبى هريرة » ، أن سائلاً سأل رسول الله ، ﷺ ، عن الصلاة فى ثوب واحد ، فقال رسول الله ، ﷺ : « أَوَ لكلّكمْ ثوبان ؟ » .

[ط جـ ٢ ص ١٤٠] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : سئل « أبو هريرة » : هل يصلى الرجل فى ثوب واحد ؟ فقال :

نعم ، فقيل له : هل تفعل أنت ذلك ؟ فقال : نعم ، إنى لأصلى فى ثوب واحد ، وإن ثيابى لعلى المشجب .[ط جـ ١ ص ١٤٠] .

عن « عطاء الخراسانى » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » ، قال : « من أجمع إقامة أربع ليال وهو مسافر ، أتمَّ الصلاة » .

قال « مالك » : « وذلك أحب ما سمعت إلىّ » .

[ط جـ ٢ ص ١٤٩] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » قال : يقال لا يخرج أحد من المسجد بعد النداء ، إلا أحد يريد الرجوع إليه إلا منافق » . [ط جـ ١ ص ١٦٢] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : « ما صلاة يُجلَس فى كل ركعة منها ؟ » .

ثم قال « سعيد » : هى المغرب ، إذا فاتتك منها ركعة ، وكذلك سُنَّةُ الصلاة كلها » . [ط جـ ١ ص ١٦٩] .

عن « عباد بن تميم » ، عن عمه ، أنه رأى رسول الله ، ﷺ ، مستلقيًا فى المسجد ، واضعًا إحدى رجليه على الأخرى .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر بن الخطاب » ، و « عثمان بن عفان » ، رضى الله عنهما ، كانا يفعلان ذلك . [ط جـ ١ ص ١٧٢] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، « أنه أخبره أن الناس كانوا يؤمرون بالأكل يوم الفطر قبل الغدو » .

قال « مالك » : « ولا أرى ذلك على الناس ، في الأضحى » .
[ط جـ ١ ص ١٧٩] .

عن « نافع » ، أن « عبد الله بن عمر » لم يكن يصلي يوم الفطر قبل الصلاة ولا بعدها ، عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يغدو إلى المصلى ، بعد أن يصلي الصبح قبل طلوع الشمس » . [ط جـ ١ ص ١٨١] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : « ما صلى رسول الله ، ﷺ ، الظهر والعصر يوم الخندق حتى غابت الشمس » . [ط جـ ١ ص ١٨٤] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : صلى رسول الله ، ﷺ ، بعد أن قدم المدينة ستة عشر شهرًا نحو بيت المقدس ، ثم حولت القبلة قبل بدر بشهرين » .
[ط جـ ١ ص ١٩٦] .

عن « عمارة بن صياد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه سمعه يقول في الباقيات الصالحات : إنها قول العبد : (الله أكبر ، وسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله) .
[ط جـ ١ ص ٢١٠] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أن « سعيد بن المسيب » ، كان يقول : « إن الرجل ليُرْفَع بدعاء ولده من بعده » ، وقال بيديه نحو السماء فرفعهما » . [ط جـ ١ ص ٢١٧] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبي هريرة » « أن رسول الله ، ﷺ نعى النجاشي للناس ، في اليوم

الذى مات فيه ، وخرج بهم إلى المصلى فصف بهم ، وكبر أربع تكبيرات » .

[ط جـ ١ ص ٢٢٦] .

عن « يحيى بن سعيد » ، قال : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : صليت وراء « أبى هريرة » على صبى لم يعمل خطيئة قط ، فسمعته يقول : « اللّهم أعذه من عذاب القبر » .

[ط جـ ١ ص ٢٢٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبى هريرة » أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسَّه النار ، إلا تحلة القسم » .

[ط جـ ١ ص ٢٣٥] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « أبى سلمة بن عبد الرحمن » عن « أبى هريرة » ، أن رسول الله ، ﷺ ، قال : « فى الركاز الخمس » ، قال « مالك » : الأمر الذى لا اختلاف فيه عندنا ، والذى سمعت أهل العلم يقولون : إن الركاز إنما هو دِفْنٌ يوجد من دفن الجاهلية ، ما لم يُطلب بمال ، ولم يُتكلف فيه نفقة ، ولا كبير عمل ، ولا مؤونة ، فأما ما طلب بمال ، وتكلف فيه كبير عمل ، فأصيب مرة وأخطىء مرة فليس بركاز » .

[ط جـ ١ ص ٢٤٩] .

عن « عبد الله بن دينار » أنه قال : سألت « سعيد بن المسيب » عن صدقة البراذين ، فقال : وهل فى الخيل من صدقة ؟

[ط جـ ١ ص ٢٧٨] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى » ، عن « سعيد بن المسيب » أن رسول الله ﷺ ، قال : « لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر » .
[ط جـ ١ ص ٢٨٩] .

عن « عطاء بن عبد الله الخُرَاسانى » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : جاء أعرابى إلى رسول الله ﷺ يضرب نحره ، وينتف شعره ، ويقول هلك الأبعد ، فقال له رسول الله ﷺ : « وما ذاك ؟ » فقال : أصبت أهلى ، وأنا صائم فى رمضان ، فقال له رسول الله ﷺ : « هل تستطيع أن تعتق رقبة ؟ » فقال : لا ، فقال : « هل تستطيع أن تهدى بدنة ؟ » قال : لا ، قال : « فاجلس » فأتى رسول الله ﷺ بِفَرَقِ تمر ، فقال : « خذ هذا فتصدق به » ؛ فقال : ما أحد أحوج منى ، فقال : « كله ، وصم يومًا مكان ما أصبت » .

قال « مالك » ، قال « عطاء » ، فسألت « سعيد بن المسيب » : كم فى ذلك الفرق من التمر ؟ فقال : « ما بين خمسة عشر صاعًا إلى عشرين » . [ط جـ ١ ص ٢٩٧] .

عن « مالك » ، أنه بلغه عن « سعيد بن المسيب » أنه سئل عن رجل نذر صيام شهر ، هل له أن يتطوع ؟ فقال سعيد : « ليبدأ بالنذر قبل أن يتطوع » .

قال « مالك » : وبلغنى عن « سليمان بن يسار » مثل ذلك .
[ط جـ ١ ص ٣٠٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يُسأل عن قضاء رمضان ، فقال سعيد : « أَحَب إلىَّ أن لا يفرق قضاء رمضان وأن يُواتِر » . [ط جـ ١ ص ٣٠٤] .

عن « مالك » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول : « من شهد العشاء من ليلة القدر ، فقد أخذ بحظه منها » .
[ط جـ ١ ص ٣٢١] .

عن « يحيى بن سعيد » عن « سعيد بن المسيب » أن « أسماء بنت عميس » ولدت « محمد بن أبى بكر » بذى الحُلَيفَة « فأمرها أبو بكر » أن تغتسل ، ثم تُهِل » . [ط جـ ١ ص ٣٢٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول فى المنطقة يلبسها المحرم تحت ثيابه : « أنه لا بأس بذلك ، إذا جعل طرفيها جميعًا سيورًا ، يعقد بعضها إلى بعض » .

قال « مالك » : « وهذا أحب ما سمعت فى ذلك إلىّ » .
[ط جـ ١ ص ٣٢٧] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى » أن رجلاً سأل « سعيد ابن المسيب » فقال : « أعتمر قبل أن أحج ؟ فقال سعيد : نعم ، قد اعتمر رسول الله ﷺ ، قبل أن يحج » . [ط جـ ١ ص ٣٤٣] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » أن « عمر بن أبى سلمة » استأذن « عمر بن الخطاب » أن يعتمر فى شوّال ، فأذن له ، « فاعتمر ثم قفل إلى أهله ، ولم يحج » .
[ط جـ ١ ص ٣٤٣] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « من اعتمر فى شوال ، أو فى ذى القعدة ، أو فى ذى الحجة ،

ثم أقام بمكة حتى يدركه الحج ، فهو متمتع إن حج ، وما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج وسبعة إذا رجع » .
[ط جـ ١ ص ٣٤٥] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » ، وسالم بن عبد الله و « سليمان بن يسار » سئلوا عن نكاح المحرِم ، فقالوا : « لا يَنْكِح المحرم ولا يُنْكِحُ » . [ط جـ ١ ص ٣٤٩] .

عن « يحيى بن سعيد » أنه سمع « سعيد بن المسيب » يحدث عن « أبى هريرة » : أنه أقبل من البحرين ، حتى إذا كان بالرَّبَذَة وجد ركبًا من أهل العراق محرمين ، فسألوه عن لحم صيد وجدوه عند أهل الربذة ، فأمرهم بأكله ، قال : ثم إنى شككت فيما أمرتهم به ، فلما قدمت المدينة ذكرت ذلك « لعمر بن الخطاب » ، فقال عمر : ماذا أمرتهم به ؟ فقال أمرتهم بأكله ، فقال « عمر بن الخطاب » : « لو أمرتهم بغير ذلك لفعلت بك ، يتواعده » .
[ط جـ ١ ص ٣٥١] .

عن « محمد بن عبد الله بن أبى مريم ، أنه سأل « سعيد بن المسيب » عن ظفر له انكسر وهو محرم ، فقال سعيد : اقطعه » .
[ط جـ ١ ص ٣٥٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : « من ساق بدنة تطوعًا ، فعطبت ، فنحرها ، ثم خلى بينها وبين الناس يأكلونها ، فليس عليه شىء ، وإن أكل منها ، أو أمر من يأكل منها ، غرمها » . [ط جـ ١ ص ٣٨١] .

عن « يحيى بن سعيد » أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول :

ما ترون فى رجل وقع بامرأته وهو محرم ؟ فلم يقل له القوم شيئًا ، فقال « سعيد » : إن رجلاً وقع بامرأته وهو محرم ، فبعث إلى المدينة يسأل عن ذلك ، فقال بعض الناس : يفرق بينهما إلى عام قابل ، فقال « سعيد بن المسيب » : لينفذا لوجههما فَلْيُتِما حجَّهما الذى أفسداه ، فإذا فرغا رجعا ، فإن أدركهما حج قابل ، فعليهما الحج والهدى ، ويُهلاَّن من حيث أهلاَّ بحجهما الذى أفسداه ، ويتفرقان حتى يقضيا حجهما » . [ط جـ ١ ص ٣٨٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » أن « عمر بن الخطاب » قال : « من عقص رأسه ، أو ضفر أو لبَّد ، فقد وجب عليه الحِلاَق » . [ط جـ ١ ص ٣٩٨] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد ابن المسيب » أن « عمر بن الخطاب » لما قدم مكة صلى بهم ركعتين ، ثم انصرف فقال : « يا أهل مكة ، أتموا صلاتكم ، فإنا قوم سفْر » ، ثم صلى « عمر بن الخطاب » ركعتين بمنى ، ولم يبلغنا أنه قال لهم شيئا » .
[ط جـ ١ ص ٤٠٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : « فى حمام مكة إذا قتل شاة » . [ط جـ ١ ص ٤١٥] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « كان الناس فى الغزو ، إذا اقتسموا غنائمهم ، يعدلون البعير بعشرة شياة » . [ط جـ ٢ ص ٤٥٠] .

وقد قال « سعيد بن المسيب » ، وسئل عن البراذين ، هل فيها من صدقة ؟ فقال : « وهل فى الخيل من صدقة » .

[ط جـ ٢ ص ٤٥٧] .

عن « عبد الله بن أبى حبيبة » قال : قلت لرجل ، وأنا حديث السن : ما على الرجل أن يقول على مشى إلى بيت الله ، ولم يقل على نذر مشى ، فقال لى رجل : هل لك أن أعطيك هذا الجرو ، لجرو قثاء فى يده ، وتقول على مشى إلى بيت الله ؟ قال فقلت نعم ، فقلته وأنا يومئذ حديث السن ، ثم مكثت حتى عقلت ، فقيل لى : إن عليك مشيا ، فجئت « سعيد بن المسيب » فسألته عن ذلك فقال لى : عليك مشى . فمشيت .

قال « مالك » : « وهذا الأمر عندنا » . [ط جـ ٢ ص ٤٧٣] .

عن « عروة بن أذينة الليثى » ، أنه قال : خرجت مع جدة لى عليها مشى إلى بيت الله ، حتى إذا كنا ببعض الطريق عجزت ، فأرسلت مولى لها يسأل « عبد الله بن عمر » ، فخرجت معه ، فسأل « عبد الله بن عمر » ، فقال له « عبد الله بن عمر » : مُرْهَا فلتركب ، ثم لتمشن من حيث عجزت » .

قال « يحيى » : وسمعت « مالكًا » يقول : ونرى عليها مع ذلك الهدى .

وحدثنى عن « مالك » أنه بلغه : أن « سعيد بن المسيب » و « أبا سلمة بن عبد الرحمن » ، كانا يقولان مثل قول « عبد الله بن عمر » . [ط جـ ٢ ص ٤٧٣] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : ما ذبح به إذا بضع [قطع] فلا بأس به إذا اضطررت إليه » .
[ط جـ ٢ ص ٤٩٠] .

عن « يزيد بن عبد الله بن قسيط الليثى » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : « زكاة ما فى بطن الذبيحة فى زكاة أمه ، إذا كان قد تم خلقه ، ونبت شعره » . [ط جـ ٢ ص ٤٩٠] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يكره أن تقتل الإنسية بما يقتل به الصيد من الرمى وأشباهه .
[ط جـ ٢ ص ٤٩١] .

عن « مالك » عن الثقة عنده ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : أبى « عمر بن الخطاب » أن يورث أحدًا من الأعاجم إلا أحدا ولد فى العرب . [ط جـ ٢ ص ٥٢٠] .

عن « مالك » ، أنه بلغه عن « سعيد بن المسيب » أنه قال : قال « عمر بن الخطاب » « لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها ، أو ذى الرأى من أهلها ، أو السلطان » . [ط جـ ٢ ص ٥٢٥] .

عن « مالك » ، عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : قال « عمر بن الخطاب » : « أيما رجل تزوج امرأة وبها جنون ، أو جذام ، أو برص ، فمسها ، فلها صداقها كاملاً ، وذلك لزوجها غرم على وليها » .

قال « مالك » : وإنما يكون ذلك غرمًا على وليها لزوجها إذا كان وليها الذى أنكحها هو أبوها أو أخوها ، أو من يُرى أنه يعلم

ذلك منها، فأما إذا كان وليها الذى أنكحها ابن عم، أو مولى، أو من العشيرة ، ممن يرى أنه لا يعلم ذلك منها، فليس عليه غرم، وترد تلك المرأة ما أخذته من صداقها، ويترك لها قدر ما تستحل به » .

[ط جـ ٢ ص ٥٢٦] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر ابن الخطاب » قضى فى المرأة إذا تزوجها الرجل ، أنه إذا أرخيت الستور فقد وجب الصداق » . [ط جـ ٢ ص ٥٢٨] .

عن « مالك » ، أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول : « إذا دخل الرجل بالمرأة فى بيتها ، صُدِّق الرجل عليها ، وإذا دخلت عليه فى بيته صدقت عليه » ، قال « مالك » : أرى ذلك فى المسيس إذا دخل عليها فى بيتها ، فقالت قد مسنى ، وقال لم أمسها صدق عليها ، فإن دخلت عليه فى بيته فقال لم أمسها وقالت قد مسنى صدقت عليه » . [ط جـ ٢ ص ٥٢٩] .

عن « مالك » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » سئل عن المرأة تشترط على زوجها أنه لا يخرج بها من بلدها ، فقال « سعيد بن المسيب » يخرج بها إن شاء ، قال « مالك » : فالأمر عندنا أنه إذا شرط الرجل للمرأة ، وإن كان ذلك عنده عقدة النكاح ، أن لا أنكح عليك ، ولا أتسرر : إن ذلك ليس بشىء ، إلا أن يكون فى ذلك يمين بطلاق أو عتاقة ، فيجب ذلك عليه ويلزمه » .

[ط جـ ٢ ص ٥٣٠] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » أنه كان

يقول : « يُنهى أن تُنكح المرأة على عمتها ، أو على خالتها ، وأن يطأ الرجل وليدة ، وفى بطنها جنين لغيره » .

[ط جـ ٢ ص ٥٣٢] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « سليمان بن يسار » ، أن « طليحة الأسدية » كانت تحت رشيد الثقفى فطلقها ، فنكحت فى عدتها ، فضربها عمر بن الخطاب » وضرب زوجها بالمخفقة ضربات ، وفرق بينهما ، ثم قال « عمر بن الخطاب » : أيما امرأة نكحت فى عدتها ، فإن كان زوجها الذى تزوجها لم يدخل بها فرق بينهما ، ثم اعتدت بقية عدتها من زوجها الأول ، ثم كان الآخر خاطبا من الخُطَّاب ، وإن كان دخل بها فرق بينهما ، ثم اعتدت بقية عدتها من الأول ، ثم اعتدت من الآخر ، ثم لا يجتمعان أبدًا » .

قال « مالك » : وقال « سعيد بن المسيب » : ولها مهرها بما استحل منها » . [ط جـ ٢ ص ٥٣٦] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، « أنه كان يقول : من تزوج امرأة فلم يستطع أن يمسها ، فإنه يضرب له أجل ، سنة ، فإن مسها ، وإلا فرق بينهما » .

[ط جـ ٢ ص ٥٨٥] .

عن « ابن شهاب » أنه قال : سمعت « سعيد بن المسيب » ، و « حميد بن عبد الرحمن بن عوف » ، و « عبيد الله بن عتبة بن مسعود » ، و« سليمان بن يسار » كلهم يقول : سمعت « أبا هريرة » يقول : سمعت « عمر بن الخطاب » يقول : « أيما امرأة طلقها زوجها تطليقة أو

تطليقتين ، ثم تركها حتى تحل وتنكح زوجا غيره ، فيموت عنها أو يطلقها ، ثم ينكحها زوجها الأول ، فإنها تكون عنده وعلى ما بقى من طلاقها » .

قال « مالك » : « وعلى ذلك السنة عندنا التى لا اختلاف فيها » . [ط جـ ٢ ص ٥٨٦] .

عن « مالك » : أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » ،و « سليمان ابن يسار » ، « سئلا عن طلاق السكران فقالا : إذا طلق السكران جاز طلاقه ، وإن قتل قتُل به » ، قال « مالك » : « وعلى ذلك الأمر عندنا » . [ط جـ ٢ ص ٥٨٨] .

عن « مالك » : أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » كان يقول : « إذا لم يجد الرجل ما ينفق على امرأته فرق بينهما » .

قال « مالك » : « على ذلك أدركت أهل العلم ببلدنا » .
[ط جـ ٢ ص ٥٨٩] .

عن « عمرو بن شعيب » ، عن « سعيد بن المسيب » « أن « عمر بن الخطاب » كان يرد المتوفى عنهن أزواجهن من البيداء ، يمنعهن الحج » . [ط جـ ٢ ص ٥٩١] .

عن « مالك » ، أنه بلغه : أن « سعيد بن المسيب » ، و« سليمان بن يسار » كانا يقولان : « عدة الأمة إذا هلك عنها زوجها شهران وخمس ليال » . [ط جـ ٢ ص ٥٩٣] .

عن « إبراهيم بن عقبة » ، أنه سأل « سعيد بن المسيب » عن الرضاعة ، فقال « سعيد » : « كل ما كان فى الحولين ، وإن كانت

قطرة واحدة فهو يحرم ، وما كان بعد الحولين ؛ فإنما هو طعام يأكله » . [ط جـ ٢ ص ٦٠٤] .

قال « إبراهيم بن عقبة » : ثم سألت « عروة بن الزبير » ، فقال : مثل ما قال « سعيد بن المسيب ». [ط جـ ٢ ص ٦٠٤] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه قال : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : « لارضاعة إلا ما كان فى المهد ، وإلا ما أنبت اللحم والدم » . [ط جـ ٢ ص ٦٠٤] .

عن « مالك » ، عن « عبد الحميد بن سهيل ، بن عبد الرحمن ابن عوف » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن أبى سعيد الخدرى ، « وعن أبى هريرة » ، أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خيبر ، فجاءه بتمر جنيب ، فقال له رسول الله ﷺ : (أكل تمر خيبر هكذا ؟) فقال : لا والله يا رسول الله ، إنا لنأخذ الصاع من هذا بالصاعين ، والصاعين بالثلاثة .

فقال رسول الله ، ﷺ : (لا تفعل ، بع الجمع بالدراهم ، ثم ابتع بالدراهم جنيبا » . [ط جـ ٢ ص ٦٢٣] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول الله ﷺ نهى عن المزابنة والمحاقلة ، و « المُزابَنة اشتراه التمر بالتمر[1] » ، « والمحاقلة اشتراه الزرع بالحنطة واستكراء الأرض بالحنطة » .

(١) قال « مالك » نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المزابنة . وتفسير المزابنة : أن كل شىء من الجراف الذى لا يعلم كيله ولا وزنه ولا عدده ، ابتيع بشىء مسمى من الكيل أو الوزن أو العدد .

قال « ابن شهاب » : فسألت « سعيد بن المسيب » عن استكراء الأرض بالذهب والورق ؟ فقال : « لا بأس بذلك » .

[ط جـ ٢ ص ٦٢٥] .

عن « مالك » ، عن « أبى الزناد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « لا ربا إلا فى ذهب أو فضة ، أو ما يكال أو يوزن ، بما يؤكل أو يشرب » . [ط جـ ٢ ص ٦٣٥] .

عن « مالك » ، عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد ابن المسيب » يقول : « قطع الذهب والورق من الفساد فى الأرض » .

[ط جـ ٢ ص ٦٣٥] .

عن « يزيد بن عبد الله بن قسيط » ، أنه رأى « سعيد بن المسيب » يراطل الذهب بالذهب ، فيفرغ ذهبه فى كفة الميزان ، ويفرغ صاحبه الذى يراطله ذهبه فى كفة الميزان الآخرى ، فإذا اعتدل لسان الميزان أخذ وأعطى » . [ط جـ ٢ ص ٦٣٨] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « جميل بن عبد الرحمن المؤذن » يقول « لسعيد بن المسيب » : إنى رجل أبتاع من الأرزاق التى تعطى الناس بالجار [محل معروف] ، ما شاء الله ، ثم أريد أن أبيع الطعام المضمون على إلى أجل ، فقال له سعيد : أتريد أن توفيهم من تلك الأرزاق التى ابتعت ؟ فقال : نعم ، فنهاه عن ذلك .

« يرى الإمام » مالك أن من كان يبتاع طعاما أو حبوبا أو شيئا من الأدُم تباعًا ، فإنه لا يبيعه حتى يقبضه ويستوفيه » .

[ط جـ ٢ ص ٦٤٢] .

عن « أبى الزناد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » و « سليمان بن يسار » « ينهيان أن يبيع الرجل حنطة بذهب إلى أجل ، ثم يشترى بالذهب تمرًا قبل أن يقبض الذهب » .

[ط جـ ٢ ص ٦٤٣] .

قال « مالك » : وإنما نهى « سعيد بن المسيب » ، و « سليمان ابن يسار » ، و « أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم » ، و « ابن شهاب » ، عن ألاَّ يبيع الرجل حنطة بذهب ثم يشترى الرجل بالذهب تمرًا قبل أن يقبض الذهب من بيعه الذى اشترى منه الحنطة ، فأما أن يشترى بالذهب التى باع بها الحنطة إلى أجل تمرًا من غير بائعه الذى باع منه الحنطة قبل أن يقبض الذهب ، ويحيل الذى اشترى منه التمر على غريمه الذى باع منه الحنطة بالذهب التى له عليه فى ثمر التمر ، فلا بأس بذلك .

قال « مالك » : وقد سألت عن ذلك غير واحد من أهل العلم ، فلم يروا به بأسًا . [ط جـ ٢ ص ٦٤٣] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : « لا ربا فى الحيوان ، وإنما نهى من الحيوان عن ثلاثة : « عن المضامين ، والملاقيح ، وحَبَل الحَبَلَةَ ، [والمضامين بيع ما فى بطون إناث الإبل ، والملاقيح بيع ما فى ظهور الجمال] .

[ط جـ ٢ ص ٦٥٤] .

عن « زيد بن أسلم » ، عن « سعيد بن المسيب » ، « أن رسول الله ، ﷺ ، نهى عن بيع الحيوان باللحم » . [ط جـ ٢ ص ٦٥٥] .

عن « داود بن الحصين » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول :

« من ميسر أهل الجاهلية بيع الحيوان باللحم ، بالشاة والشاتين » .
[ط جـ ٢ ص ٦٥٥] .

عن « أبى الزناد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : « نُهى عن بيع الحيوان باللحم » .

قال « أبو الزناد » : فقلت لسعيد بن المسيب أرأيت رجلاً اشترى شارفا بعشرة شياة ؟ فقال سعيد : « إن كان اشتراها لينحرها فلا خير فى ذلك » . [ط جـ ٢ ص ٦٥٥] .

عن « أبى حازم بن دينار » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول الله ، ﷺ ، « نهى عن بيع الغرر ». [ط جـ ٢ ص ٦٦٤] .

قال الأزهرى : بيع الغرر ، ما كان على غير عهدة ولا ثقة ، وتدخل فيه البيوع التى لا يحيط بكنهها المتبايعان من كل مجهول .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « إذا جئت أرضا يوفون المكيال والميزان فأطل المقام بها ، وإذا جئت أرضا ينقصون المكيال والميزان فأقلل المقام بها » .
[ط جـ ٢ ص ٦٨٥] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول الله ﷺ ، قال ليهود خيبر ، يوم افتتح خيبر : « أقركم فيها ما أقركم الله عز وجل ، على أن التمر بيننا وبينكم » . قال ، فكان رسول الله ﷺ ، يبعث « عبد الله بن رواحة » فيخرص بينه وبينهم ، ثم يقول : إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلى ، فكانوا يأخذونه » .
[ط جـ ٢ ص ٧٠٣] .

عن « ابن شهاب » ، أنه قال : سألت « سعيد بن المسيب » عن كراء الأرض بالذهب والورق . فقال : « لا بأس به » .
[ط جـ ٢ ص ٧١١] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وعن « أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف » ، أن رسول الله ، ﷺ ، « قضى بالشفعة فيما لم يقسم بين الشركاء ، فإذا وقعت الحدود بينهم فلا شفعة فيه » .

قال « مالك » : « وعلى ذلك السنة التى لا اختلاف فيها عندنا » .
[ط جـ ٢ ص ٧١٣] .

قال « مالك » : إنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » سئل عن الشفعة هل فيها من سنة ؟ فقال : « نعم الشفعة فى الدور والأرضين ، ولا تكون إلا بين الشركاء » . [ط جـ ٢ ص ٧١٤] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر ابن الخطاب » اختصم إليه مسلم ويهودى ، فرأى عمر أن الحق لليهودى ، فقضى له ، فقال له اليهودى : والله لقد قضيت بالحق ، فضربه « عمر بن الخطاب » بالدرة ثم قال : وما يدريك ؟ فقال له اليهودى : إنا نجد أنه ليس قاض يقضى بالحق ، إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق ، ما دام مع الحق ، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه : [ط جـ ٢ ص ٧١٩] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رسول الله ، ﷺ قال : « لا يغلق الرهن » .

قال « مالك » : وتفسير ذلك فيما نرى والله أعلم ، أن يرهن الرجل الرهن عند الرجل بالشيء ، وفى الرهن فضل عما رُهن به ، فيقول الراهن للمرتهن : إن جئتك بحقك إلى أجل يسميه له ، وإلا فالرهن لك بما رهن فيه .

قال : فهذا لا يصلح ولا يحل ، وهذا الذى نهى عنه ، وإن جاء صاحبه بالذى رهن به بعد الأجل فهو له ، وأرى هذا الشرط منفسخًا . [ط جـ ٢ ص ٧٢٨] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رجلا من أهل الشام يقال له « ابن خيبرى » ، وجد مع امرأته رجلاً فقتله ، أو قتلهما معا ، فأشكل على « معاوية بن أبى سفيان » القضاء فيه ، فكتب إلى « أبى موسى الأشعرى » يسأل له « على بن أبى طالب » عن ذلك ، فسأل « أبو موسى » على بن أبى طالب ، « فقال له على : إن هذا الشيء ما هو بأرضى ، عزمت عليك لتخبرنى ، فقال له « أبو موسى » : كتب إلىَّ معاوية بن أبى سفيان » أن أسألك عن ذلك ، فقال « على » : أنا أبو حسن : إن لم يأت بأربعة شهداء فليعط برمته .

« أى يسلم إلى أولياء المقتول فإن شاؤوا طلبوا القصاص وإن شاؤوا » عفوا .

يقول الأستاذ فؤاد عبد الباقى :

والرمة : قطعة من حبل ، لأنهم كانوا يقودون القاتل إلى ولى المقتول بحبل ، ولذا قيل ، القود » . [ط جـ ٢ ص ٧٣٧] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر بن الخطاب » قال وهو مسند ظهره إلى الكعبة : « من أخذ ضالة فهو ضال » . [ط جـ ٢ ص ٧٥٩] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عثمان بن عفان » قال : « من نحل ولدا له صغيرا [أعطاه شيئا بغير عوض عن طيب نفس] ، لم يبلغ أن يجوز نُحْلَه ، فأعلن ذلك له ، وأشهد عليها ، فهى جائزة وإن وليها أبوه » . [ط جـ ٢ ص ٧٧١] .

حدثنى « مالك » أنه بلغه أن « سعيد بن المسيب » سئل عن عبد له ولد من امرأة حرة لمن ولاؤهم ؟ فقال سعيد : « إن مات أبوهم وهو عبد لم يعتق فولاؤهم لموالى أمهم » .
[ط جـ ٢ ص ٧٨٢] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن رجلاً من أسلم جاء إلى « أبى بكر الصديق » فقال له : إن الآخر زنى ، فقال له أبو بكر : هل ذكرت هذا لأحد غيرى ؟

فقال : لا ، فقال له « أبو بكر » : فتب إلى الله ، واستتر بستر الله ، فإن الله يقبل التوبة من عباده ، فلم تقرره نفسه حتى أتى « عمر بن الخطاب » فقال له مثل ما قال « لأبى بكر » ، فقال عمر مثل ما قال له « أبو بكر » ، فلم تقرره نفسه حتى جاء إلى رسول الله ﷺ فقال له : إن الآخر زنى ، فقال « سعيد » : فأعرض عنه رسول الله ﷺ ثلاث مرات ، كل ذلك يعرض عنه رسول الله ﷺ حتى إذا أكثر عليه ، بعث رسول الله ﷺ إلى أهله فقال : « أيشتكى أم به جنة ؟ » فقالوا : يا رسول الله ، والله إنه لصحيح ،

فقال رسول الله ﷺ : « أبكر أم ثيب ؟ » فقالوا : بل ثيب يا رسول الله ، « فأمر به رسول الله ﷺ فرجم » . [ط جـ ٢ ص ٨٢٠] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : بلغنى أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أسلم ، يقال له « هَزَّال » : « يا هزال » ، « لو سترته بردائك لكان خيرًا لك » قال « يحيى بن سعيد » ، فحدثت بهذا الحديث فى مجلس فيه «يزيد بن نعيم بن هزال الأسلمى»، فقال يزيد : « هزال جدِّى ، وهذا الحديث حق » . [ط جـ ٢ ص ٨٢١] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه سمعه يقول : لما صدر « عمر بن الخطاب » من منى أناخ بالأبطح ، ثم كوم كومة بطحاء ، ثم طرح عليها رداءه واستلقى ثم مد يديه إلى السماء فقال : اللَّهم كبرت سنى ، وضعفت قوتى ، وانتشرت رعيتى ، فاقبضنى إليك غير مضيِّع ولا مفرِّط ، ثم قدم المدينة فخطب الناس ، فقال : أيها الناس قد ، سنت لكم السنن ، وفرضت لكم الفرائض ، وتركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالاً ، وضرب بإحدى يديه على الأخرى ، ثم قال : إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم ، أن يقول قائل لا نجد حدين فى كتاب الله ، فقد رجم رسول الله ﷺ ، ورجمنا ، والذى نفسى بيده ، لولا أن يقول الناس : زاد عمر بن الخطاب فى كتاب الله تعالى لكتبتها (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة) ، فإنا قد قرأناها .

قال « مالك » : قال « يحيى بن سعيد » : قال « سعيد بن المسيب » . فما انسلخ ذو الحجة حتى قتل عمر ، رحمه الله . [ط جـ ٢ ص ٨٢٤] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه سمع « سعيد بن المسيب » يقول : « ما من شيء إلا الله يحب أن يعفى عنه ، ما لم يكن حدًا » .
[ط جـ ٢ ص ٨٤٣] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : تعاقل المرأة الرجل إلى ثلث الدية ، إصبعها كإصبعه ، وسنها كسنه ، وموضحتها كموضحته ، ومُنَقِّلتها كمنقلته » .
[ط جـ ٢ ص ٨٥٣] .

عن « ابن شهاب » ، « عن سعيد بن المسيب » ، أن رسول الله ﷺ قضى فى الجنين يقتل فى بطن أمه بغرة ، « عبد أو وليدة » ، فقال الذى قضى عليه : كيف أغرم ما لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ، ومثل ذلك بطل ، فقال رسول الله ﷺ : « إنما هذا من إخوان الكهان » . [ط جـ ٢ ص ٨٥٥] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، « أنه كان يقول فى الشفتين الدية كاملة ، فإذا قطعت السفلى ففيها ثلثا الدية » .
[ط جـ ٢ ص ٨٥٦] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : « كل نافذة [كل جراحة نافذة] فى عضو من الأعضاء ففيها ثلث عقل ذلك العضو » . [ط جـ ٢ ص ٨٥٩] .

حدثنى « مالك » : كان « ابن شهاب » لا يرى ذلك ، وأنا لا أرى فى نافذة فى عضو من الأعضاء فى الجسد أمرًا مجتمعًا عليه ، ولكنى أرى فيها الاجتهاد ، يجتهد الإمام فى ذلك ، وليس فى ذلك أمر مجتمع عليه عندنا . [ط جـ ٢ ص ٨٥٩] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، وأبى سلمة بن عبد الرحمن » ، عن « أبى هريرة » ، أن رسول الله ﷺ قال : « جرح العجماء جبار ، والبئر جبار ، والمعدن جبار[1] . وفى الركاز الخمس . قال مالك : وتفسير الجبار أنه لا شىء فيه . [ط جـ ٢ ص ٨٦٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أن « عمر بن الخطاب » قتل نفرًا خمسة أو سبعة برجل واحد قتلوه قتل غيلة، وقال «عمر» : « لو تمالأ عليه أهل صنعاء لقتلهم جميعًا » .
[ط جـ ٢ ص ٨٧١] .

عن « ابن شهاب » ، عن «سعيد بن المسيب» ، عن «أبى هريرة» ، أنه كان يقول : لو رأيت الظباء بالمدينة ترتع ما ذعرتها ، قال رسول الله ﷺ : « ما بين لابتيها حرام ».[ط جـ ٢ ص ٨٨٩] .

عن « يحيى بن سعيد » ، أنه قال : سمعت « سعيد بن المسيب » يقول : « ألا أخبركم بخير من كثير من الصلاة والصدقة ؟ قالوا : بلى . قال : إصلاح ذات البين ، وإياكم والبغضة ، فإنها هى الحالقة » .
[ط جـ ٢ ص ٩٠٤] .

عن « ابن شهاب » ، عن « سعيد بن المسيب » ، عن « أبى هريرة » أن رسول الله ﷺ ، قال : « ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب » .
[ط جـ ٢ ص ٩٠٦] .

---

(١) جبار : أى هدر لا شىء فيه ، والمراد بالعجماء : البهيمة ، ومن مات فى حفر بئر بانهيار البئر عليه ، ومن مات وهو يبحث عن المعادن فانهار عليه المكان ... كل ذلك هدر لا شىء فيه .

عن « يحيى بن سعيد » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه قال : كان إبراهيم ، ﷺ ، أول الناس ضيَّف الضيف ، وأول الناس اختتن ، وأول الناس قص الشارب ، وأول الناس رأى الشيب ، فقال : يارب . ما هذا ؟ فقال الله تبارك وتعالى : « وقار يا إبراهيم ، فقال : رب زدني وقارا » . [ط جـ ٢ ص ٩٢٢] .

عن « صدقة بن يسار » ، أنه قال : « سألت « سعيد بن المسيب » عن لبس الخاتم ، فقال : البسه ، وأخبر الناس أني أفتيتك بذلك » . [ط جـ ٢ ص ٩٣٦] .

عن « عبد الرحمن بن حرملة » ، عن « سعيد بن المسيب » ، أنه كان يقول : قال رسول الله ، ﷺ ، « الشيطان يهم بالواحد والاثنين ، فإذا كانوا ثلاثة لم يهم بهم » . [ط جـ ٢ ص ٩٧٨] .

الفصل الخامس

من حكمه

قال « سعيد بن المسيب » :

« إن الدنيا نذلة ، وهى إلى كل نذل أميل ، وأنذل منها من أخذها بغير حقها ، وطلبها بغير وجهها ، ووضعها فى غير سبيلها[1] » .

وكان يقول ، وقد أتت عليه أربع وثمانون سنة :

« ما شىء أخوف عندى من النساء[2] » .

وكان يقول :

« الناس كلهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله عز وجل فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه ، فبدت للناس عورته[3] » .

وكان رضى الله عنه يقول :

« لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم لكى لا تحبط أعمالكم الصالحة[4] » .

---

(١) حلية الأولياء .

(٢) الطبقات الكبرى .

(٣) الطبقات الكبرى للشعرانى .

(٤) الطبقات الكبرى .

وكان رضى الله عنه يقول :

« لا تقولوا مسيجدا ، ولا مصيحفا ، بالتصغير ، فتصغروا ما كان لله تعالى ، فهو عظيم جليل[1] » .

وكان يقول :

« من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، وكان الناس يستأذنون عليه من هيبته كما يستأذنون على الأمراء[2] » .

وكان يقول :

« ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلا وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغى أن تذكر عيوبه ؛ فمن كان فضله أكثر من نقصه ، وهب نقصه لفضله[3] » ؛ رضى الله عنه .

وحدّث « سعيد بن المسيب » قال :

« ما أكرمت العباد أنفسها بمثل طاعة الله عز وجل ؛ ولا أهانت أنفسها بمثل معصية الله ، وكفى بالمؤمن نصرة من الله أن يرى عدوه يعمل بمعصية الله[4] » .

وقال : « إنه ليس من شريف ولا عالم ولا ذى فضل إلاّ وفيه عيب ، ولكن من الناس من لا ينبغى أن تذكر عيوبه[5] » .

---

(١) الطبقات الكبرى .
(٢) الطبقات الكبرى .
(٣) الطبقات الكبرى .
(٤) الطبقات الكبرى .
(٥) الطبقات الكبرى .

وعن « عبد الله بن أخى الزهرى » ، عن عمه ، عن « سعيد بن المسيب » قال :

« من استغنى بالله افتقر الناس إليه[1] » .

وحدث « على بن زيد » قال :

رآنى « سعيد بن المسيب » وعلىّ جبة خز ، فقال : إنك لجيد الجبة .

قلت : وما تغنى عنى وقد أفسدها على سالم ، فقال « سعيد » :

« أصلح قلبك ، والبس . ما شئت[2] » .

وحدث حماد بن زيد عن يحيى بن سعيد : أن سعيد بن المسيب كان يكثر أن يقول فى مجلسه : « اللهم سلم سلم[3] !! ! » .

وقد سمع « عبيد الله بن عبد الرحمن » « سعيد بن المسيب » يقول :

« يد الله فوق عباده ، فمن رفع نفسه وضعه الله ، ومن وضعها رفعه الله ، الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم ، فإذا أراد الله فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه فبدت للناس عورته[4] » .

---

(١) الطبقات الكبرى .
(٢) الحلية .
(٣) الحلية .
(٤) الحلية .

الفصل السادس

تعبير الرؤى

لقد رأى الناس الأحلام منذ أن وجدوا على ظهر البسيطة ، واختلف الناس فى الموقف بالنسبة لها ، فبعضهم لا يعيرها اهتمامًا : إنها صور تمر على الإنسان فى نومه ، ولا تستأهل أكثر من « اللامبالاة » ..

ونوع آخر من بنى الإنسان يتفاءل بالرؤى الطيبة ، ويتشاءم من الرؤى السيئة ..

ولقد تحدثت الأديان عن الرؤى ، وكانت الرؤى مدار بحث فى علم النفس الحديث .

ولقد وقف منها علم النفس الحديث موقفه من كل الظواهر .. إنه يفسرها تفسيرًا ماديًّا ، ويعزوها إلى أحد عاملين :

عامل البيئة المحيطة بالإنسان ، من دفء وبرودة ، ومن ضوء أو ظلمة ، ومن ضجيج أو سكون ، وقد أجرى التجارب على ذلك فأضاء النور الساطع فى غرفة النائم ، ثم أيقظه ، فإذا به يحلم ببزوغ الشمس مثلاً ، وقرب منه أشياء تشع الحرارة فإذا به يرى حلمًا يناسبها ، وهكذا .

والعامل الثانى فيما يرى علم النفس الحديث هو الحالة الداخلية للإنسان نفسية كانت أو جسمية :

إن الحالة الداخلية تنعكس أحلامًا ، يرى الإنسان ما يتناسب معها .

ولم يعدُ علم النفس الحديث هذين العاملين فى تفسير الأحلام .

ولكن الأديان تذكر ذلك ، وتذكر قسمًا ثالثًا من الرؤى هو : الرؤيا الصادقة ..

إنها تذكر الرؤيا التى من النفس .

وتذكر الرؤيا التى من الشيطان .

وتذكر الرؤيا التى من المَلك .

وتذكر الرؤيا التى من الله تعالى .

والفرق بين الرؤيا التى من الملك والرؤيا التى من الله تعالى إنما هو فرق فى الوضوح .

وتقول السيدة « عائشة » رضى الله عنها :

« أول ما بدىء به رسول الله ، ﷺ ، من الوحى : الرؤيا الصادقة ، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح !!

وهذا النوع يسمى الرؤيا الصادقة ، ورؤيا الأنبياء حق . ولقد آمن سيدنا إبراهيم » عليه السلام برؤياه فى أمر خطير ، هو ذبح ابنه « إسماعيل » وصارحه قائلاً :

﴿يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك﴾[1] .

وآمن سيدنا إسماعيل » برؤيا والده ، واعتبرها أمرًا ، وقال لوالده :

---

(١) الصافات : ١٠٢ .

﴿يا أبت افعل ما تؤمر﴾[1] .

وسورة سيدنا يوسف » تبتدىء برؤيا .

﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنى رأيت أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين﴾[2] .

وينصحه أبوه أن لا يقص رؤياه على إخوته ، حتى لا يكيدوا له كيدًا .

ويأخذ والده فى شىء من تعبير هذه الرؤيا فيقول له .

﴿وكذلك يجتبيك ربك ، ويعلمك من تأويل الأحاديث ، ويتم نعمته عليك﴾[3] .

وفى أواخر السورة يقول القرآن الكريم عن سيدنا يوسف » .

﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجدًا ، وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل ، قد جعلها ربى حقًّا ، وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن ، وجاء بكم من البدو ، من بعد أن نزغ الشيطان بينى وبين إخوتى ، إن ربى لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم﴾[4] .

وسورة « يوسف » على وجه العموم بها عدة رؤى ، وبها تعبيرها .

وقد استعمل القرآن لفظ التأويل ..

---

(١) الصافات : ١٠٢ .

(٢) يوسف : ٤ .

(٣) يوسف : ٦ .

(٤) يوسف : ١٠٠ .

وأبان القرآن أن هذا التأويل هو منحة من الله تعالى ، يقول سيدنا « يوسف » شاكرًا لله أنعمه :

﴿رب قد آتيتنى من الملك، وعلمتنى من تأويل الأحاديث﴾(١) .

﴿هذا تأويل رؤياى من قبل﴾(٢) .

وقد تحدث من منحهم الله تعالى تأويل الرؤيا عن شروط ، وعن سمات للرؤى الصادقة ، منها :

١ - أن يكون فى الرؤيا مفتاح لتأويلها ، إذا كانت رمزية ، وقد تكون الرؤيا صريحة ، وفى هذه الحالة لا تحتاج إلى مفتاح .

٢ - وأن يكون الإنسان فى أثنائها هادئًا ، حتى الرؤى الجنسية ، فإنها لا يصاحبها انفعال ولا إثارة .

٣ - وأن يتذكرها الإنسان فى وضوح ، حتى لكأنها مطبوعة فى نفسه .

والرؤى الصادقة منح وهبات .

وتأويلها منح وهبات ، وتعلم وتلقين .

وإذا ما جئنا الآن إلى الإمام « سعيد » فإن عدة ظروف تكاتفت لتجعله من المؤولين ، منها :

دراسته العميقة للقرآن والسنة ، وكل من درس القرآن والسنة

---

(١) يوسف : ١٠١ .

(٢) يوسف : ١٠٠ .

فى استفاضة فإنه يمر عليه دلالات ورؤى لرسول الله ، ﷺ ، ولغيره ، ويرى تأويلها .

ومن المعروف أن رسول الله ، ﷺ ، كان يسأل الصحابة حينما يلتقى بهم فى الصباح عن رؤاهم ، وكان يعبرها لهم ، وكان أحياناً يطلب من « أبى بكر » رضى الله عنه تعبيرها .

ومنها ورعه وتقواه ، وهذا يقود إلى أمرين :

(أ) صفاء النفس .

(ب) الإلهام أو الفتح .

وإذا أضيف الورع والتقوى إلى العلم بالكتاب والسنة ، وصل الإنسان إلى صفاء للنفس أصفى ، وإلى إلهام يتوالى وفتح مشرق .

وكل ذلك كان عند « سعيد » ..

والمؤرخون « لسعيد » يضيفون عاملاً فى غاية الأهمية :

إنهم – أولاً – يتحدثون عن خاصية التعبير عند « سعيد » ، فيقول « ابن قتيبة » مثلاً :

« كان « سعيد » أفقه أهل الحجاز ، وأعبر الناس للرؤيا » .

أكان « ابن قتيبة » يربط بين الفقه الغزير وبين السر فى تعبير الرؤيا ؟

إن المؤرخين على كل حال يعتبرون « سعيدًا » من أعبر الناس للرؤيا ، ويذكرون أمثلة من المعبرين ، ويذكرون بالنسبة « لسعيد » سلسلة :

أما الأمثلة فيقول « القرطبى » :

« كان « يوسف » عليه السلام أعلم الناس بتأويل الرؤيا » .

وكان نبينا ، ﷺ ، نحو ذلك .

وكان « الصديق » رضى الله عنه من أعبر الناس للرؤيا .

ونحو أو قريب منه « سعيد بن المسيب » فيما ذكروا .

أما السلسلة بالنسبة « لسعيد » ، فيقول « الواقدى » :

كان « سعيد بن المسيب » من أعبر الناس للرؤيا ، وكان أخذ ذلك عن « أسماء بنت أبى بكر » وأخذته « أسماء » عن أبيها أبى بكر » رضى الله عنه .

ومن المعروف أن الإمام « محمد بن سيرين » كان من كبار المؤولين ، ولتأويله غرائب عجيبة تذكر فتدهش ، وعن « سعيد » و « ابن سيرين » يقول الإمام « الحافظ العراقى » :

أخذ « ابن سيرين » التعبير عن « ابن المسيب » .

وأخذه « ابن المسيب » عن « أسماء » .

وأخذته « أسماء » عن أبيها .

وكان « لابن سيرين » كلمات محفوظة ، يقولها للرجل إذا رأى رؤيا وقصها عليه ، كان يقول له :

« خيرًا رأيت » .

وكانت له قواعد عامة استمدها من تأويلات رسول الله ، ﷺ ، فهو يقول مثلاً :

« القيد فى النوم ثبات فى الدين » .

يقول الإمام « البخارى » : وكان يعجبهم القيد ، ويقال : القيد ثبات فى الدين .

وروى الإمام « البخارى » عن « عبد الله بن صباح » ، عن « معتمر » ، عن « عوف » ، عن « محمد بن سيرين » ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ، ﷺ :

« إذا اقترب الزمان لم تكد تكذب رؤيا المؤمن ، ورؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة » ..

قال محمد [ابن سيرين] : وأنا أقول هذا ، قال : وكان يقال :

الرؤيا ثلاث : حديث النفس ، وتخويف الشيطان ، وبشرى من الله ، فمن رأى شيئًا يكرهه ، فلا يقصه على أحد ، وليقم فليصل .

قال : وكان يكره الغُلَّ فى النوم ، وكان يعجبهم القيد :

ويقال : القيد ثبات فى الدين .

وروى « قتادة » « ويونس » « وهشام » « وأبو هلال » ، عن « ابن سيرين » ، عن « أبى هريرة » ، عن النبى ، ﷺ .

وأدرجه بعضهم كله فى الحديث .

وحديث عوف أبين .

وهو الحديث الذى رويناه .

[عن ابن « سيرين » أنه سمع « أبا هريرة » يقول : قال رسول الله ، ﷺ : إذا اقترب الزمان] .

وقال يونس : لا أحسبه إلا عن النبى ، ﷺ ، فى القيد .

قال « أبو عبد الله» : لا تكون الأغلال إلا فى الأعناق .

ويقول « سعيد » :

« التمر فى النوم رزق على كل حال ، والرطب فى زمانه رزق » .

روى « مسلم » ، عن « أنس » ، قال : قال رسول الله ، ﷺ :

« رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم كأنا فى دار « عقبة بن رافع » ، فأوتينا برطب من رطب ابن طاب ، فأولت أن الرفعة لنا فى الدنيا ، والعاقبة فى الآخرة وأن ديننا قد طاب » .

أما عن زمن تحقق الرؤيا فقد يطول ، وقد يكون فوريا ، وقد يكون بين هذا وذاك .

ويقول سعيد :

« آخر الرؤيا أربعون سنة : يعنى فى تأويلها » —

وإذا جئنا الآن إلى نماذج من تأويله فإننا نبدأ بهذه الرؤيا ، الغريب تأويلها ، والتى تحققت كما أولها :

عن عُمر بن حبيب بن قليع ، قال :

« كنت جالسًا عند « سعيد بن المسيب » يومًا ، وقد ضاقت على الأشياء ، ورهقنى دين ، فجلست إلى « ابن المسيب » ما أدرى أين أذهب ، فجاءه رجل فقال :

يا أبا محمد ، إنى رأيت رؤيا .

قال : خيرًا رأيت ، ما هى ؟

قال : رأيت كأبى أخذت « عبد الملك بن مروان » فأضجعته إلى الأرض ، ثم بطحته فأوتدت فى ظهره أربعة أوتاد .

قال : ما أنت رأيتها .

قال : بلى ، أنا رأيتها .

فقال : لا أخبرك أو تخبرنى .

قال : ابن الزبير رآها وهو بعثنى إليك .

قال : لئن صدقت رؤياه قتله « عبد الملك بن مروان » ، وخرج من صلب « عبد الملك » أربعة كلهم يكون خليفة .

قال : فدخلت إلى « عبد الملك بن مروان » بالشام فأخبرته بذلك عن « سعيد بن المسيب » ، فسره ، وسألنى عن « سعيد » وعن حاله ، فأخبرته ، وأمر لى بقضاء دينى وأصبت منه خيرًا .

وروى « ابن سعد » أيضًا رؤيا فى هذا الموضوع قال : قال رجل :

رأيت كأن « عبد الملك بن مروان » يبول فى قبلة مسجد النبى ، ﷺ أربع مرات ، فذكرت ذلك « لسعيد بن المسيب » فقال : « إن صدقت رؤياك قام فيه من صلبه أربعة خلفاء » .

وعن « شريك بن أبى نمر » قال :

قلت « لابن المسيب » : رأيت فى النوم كأن أسنانى سقطت فى يدى ثم دفنتها ، فقال « ابن المسيب » : « إن صدقت رؤياك دفنت أسنانك من أهل بيتك » .

وقال رجل « لابن المسيب » :

إنى أرانى أبول فى يدى ، فقال :

اتق الله ، فإن تحتك ذات محرم ، فنظر فإذا امرأة بينها وبينه رضاع .

وجاءه آخر فقال : يا أبا محمد ، إنى أرى كأنى أبول فى أصل زيتونة ، قال : انظر من تحتك ، تحتك ذات محرم ، فنظر فإذا امرأة لا يحل له نكاحها .

وعن « الحصين بن عبيد الله بن نوفل » من بنى نوفل بن عدى ابن خويلد بن أسد بن عبد العزى ، قال :

طلبت الولد فلم يولد لى ، فقلت « لابن المسيب » إنى أرى أنه طرح فى حجرى بيض ، فقال « ابن المسيب » الدجاج عجمى ، فاطلب سببًا إلى العجم ، قال : فتسريت فولد لى وكان لا يولد لى .

وبعد : فإن الرؤى الصادقة حقيقة واقعة ، وإذا كان علم النفس الحديث لا يذكرها ، فذلك لأنه يدور فى فلك المادة ، أما المؤمنون فإنهم يسيرون على ضوء من الكتاب المبارك ، وعلى ضوء من سنة رسول الله ، ﷺ ، وعلى ضوء من الواقع الذى لا ينكره إلا من على بصيرته حجاب ، يحجبها عن النور والإشراق .

الفصل السابع

وفاته

ومضت الأيام بسعيد مجاهدًا فى سبيل الله لا يفتر ؛

مضت به متعلمًا ، وعالمًا ، ومعلمًا . !

مضت به ناصحًا لعامة المسلمين وأئمتهم .

وقد جاء أحد الصحابة – قبل إسلامه – إلى رسول الله ، ﷺ ، فقال :

أبايعك على الإسلام ؟

فقال رسول الله ، ﷺ : « والنصح لكل مسلم » .

وبدأت الحياة تنتهى بسعيد ، وبدأت أيامه الأخيرة تنصرم يومًا بعد يوم .

ما هى صورته فى أيامه الأخيرة ؟

كان حاد الذهن ، متنبهًا لما يقتضيه الشرع .

إنه يتجه إلى أهله فيقول فى حزم :

« إذا مت فلا تضربوا على قبرى فسطاطًا ، ولا تحملونى على قطيفة حمراء ، ولا تتبعونى بنار ، ولا تؤذنوا بى أحدًا ، حسبى من يبلغنى ربى ، ولا يتبعنى راجزهم هذا » !

ولا يكتفى بذلك ، وإنما يشهد على ما نصح به أهله :

عن « زرعة بن عبد الرحمن » ، قال :

شهدت « سعيد بن المسيب » — يوم مات يقول : « يازرعة » : إنى أشهدك على ابنى « محمد » لا يؤذنن بى أحدًا ، حسبى أربعة ، يحملوننى إلى ربى ، ولا تتبعنى صائحة تقول فىّ ما ليس فىّ » ؟

ويتحدث « سعيد بن المسيب » إلى الناس عامة فيقول :

أوصيت أهلى إذا حضرنى الموت بثلاث :

« ألاَّ يتبعنى راجز ، ولا نار ، وأن يعجل بى ، فإن يكن عند ربى خير فهو خير مما عندكم » .

ومع مرضه فإنه ما كان يترك أمرين :

الأول منهما : الاستمرار فى إفادة الناس .

يقول صاحب البداية : وكان « سعيد بن المسيب » من أورع الناس فيما يدخل بيته وبطنه ، وكان من أزهد الناس فى فضول الدنيا ، والكلام فيما لا يعنى ، ومن أكثر الناس أدبًا فى الحديث .

جاءه رجل وهو مريض فسأله عن حديث ، فجلس فحدثه ، ثم اضطجع ، فقال الرجل : وددت أنك لم تتعنّ ؟

فقال : إنى كرهت أن أحدثك عن رسول الله ، ﷺ ، وأنا مضطجع !

أما الأمر الثانى : فهو الصلاة .

يقول « ابن سعد » فى طبقاته : عن « عبد الرحمن بن حرملة » قال :

رأيت « سعيد بن المسيب » فى مرضه يصلى مضطجعًا مستلقيًا ، فيومىء برأسه إلى صدره إيماء ولا يرفع إلى رأسه شيئًا ، وقال « سعيد » :

المريض إذا لم يستطع الجلوس أومأ إيماء ، ولم يرفع إلى رأسه شيئا[1] .

ويقول « عبد الرحمن بن حرملة » أيضًا : دخلت على « سعيد ابن المسيب » وهو شديد المرض وهو يصلى الظهر ، وهو مستلق يومىء إيماء ، فسمعته يقرأ بـ (الشمس وضحاها) !

بيد أن أمرًا آخر كان « سعيد » متنبهًا له وهو فى مرضه ، وهو أمر المال الذى كان عنده ثمرة لتجارته المحدودة .

ما هو موقفه منه ، وهو فى لحظاته الأخيرة ؟

عن « يحيى بن سعيد » قال : لما حضر « سعيد بن المسيب » الموت ترك دنانير ، فقال :

« اللّهم إنك تعلم أنى لم أتركها إلا لأصون بها حسبى ودينى » . !

ومات « سعيد بن المسيب » .

يقول صاحب شذرات الذهب : فى سنة أربع وتسعين : توفى الإمام السيد الجليل « أبو محمد سعيد بن المسيب المخزومى المدنى » أحد أعلام الدنيا ، سيد التابعين » .

---

(١) الإيماء : الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب ، وإنما يريد هنا الإيماء بالرأس .

ويقول « ابن حجر » مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين .

والمشهور من هذه الأقوال أنه توفى سنة أربع وتسعين ، وقال « السخاوى » : هو الصحيح .

ويقول « عبد الحكيم بن عبد الله بن أبى فروة » :

شهدت « سعيد بن المسيب » يوم مات ، فرأيت قبره قد رش عليه الماء .

ونختتم ذلك بما روى عن « مكحول » : قال :

لما مات « سعيد بن المسيب » استوى الناس ، ما كان أحد يأنف أن يأتى حلقة « سعيد بن المسيب » ، ولقد رأيت فيها مجاهدًا » وهو يقول :

« لا يزال الناس بخير ما بقى بين أظهرهم »

رحمه الله رحمة واسعة ، يقول سبحانه :

﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون ، لهم البشرى فى الحياة الدنيا ، وفى الآخرة ، لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم﴾[1] .

---

(١) يونس : ٦٢ – ٦٤ .

فهرس الكتاب